494

HARLEQUIN

روايات أحلام

آخر خيوط الحب

كارول مارينيللي

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

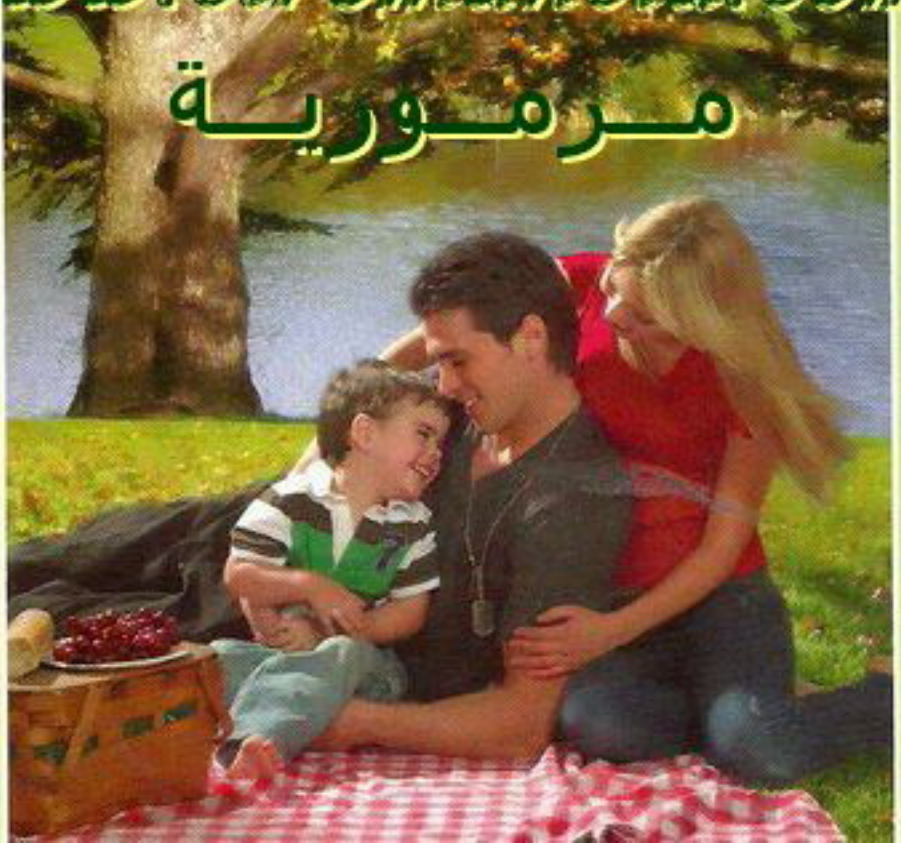

آخر خيوط الحب

المليونير الاسباني أليخاندرو سانتياغو رجل وسيم جداً ، يحصل دائماً على ما يريده .
عندما اكتشف أن لديه ابناً صغيراً ، مكّنه ماله وسلطته من الحصول على الوصاية عليه بسهولة منتصراً على عمّة الصبي ، بروني سوليفان . لكنه لم يتصوّر أن تتحلّى بروني بمثل هذا الجمال والقدرة على الحب والعطاء .
عندما عرض أليخاندرو عليها البقاء لمدة شهر معه وابنه ، وافقت بروني من أجل مصلحة الصبي . لكن كانت هناك مشكلة واحدة ، المليونير الإسباني ليس متكبراً ومتفاخراً فقط ، إنه أيضاً وسيم بشكل مثير للأعصاب .
هناك في الفيلا الفاخرة التي يملكها ، ترددت بروني بالاستسلام للانجذاب الذي نشأ بينهما . لكن هل يرى فيها أليخاندرو أكثر من مجرد جليسة لابنه ؟

كارول مورتيمر

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال، فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: ماثيو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً أسمه بيتر، ونحن صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة تماماً».

كارول

١ - كارثة... وطفل وحيد

- سيد سيموندز! هل يمكنك أن تتكرم وتخبر موكلتك، أن تصرفها عندما ذهبت لإحضار ميغيل من منزلها البارحة، كان غير منطقي وغير مقبول على الإطلاق؟

- سيد شو! هل تتكرم وتخبر موكلك، أنني أعتبر تصرفاته البارحة أكثر من غير منطقية؟ إنها بالتحديد لا إنسانية.

لمعت عينا بروني بشدة بأشعة زرقاء داكنة اللون، واحتقنت الدماء في خديها، وهي تحدق بغضب عبر الغرفة بالرجل الذي يقف مهيباً وحازماً أمام نافذة مكتب محاميه. لا شك أن أليخاندرو سانتياغو يتميز بوجه جذاب جداً، بالرغم من الظل الذي يغلفه.

تحدث محاميها بول سيموندز بهدوء ومنطق وهو جالس بقربها: «أخشى القول، آنسة سوليفان! إن السينيور سانتياغو يحظى بمساندة القانون وانحيازه إلى صفه».

- ربما ما تقوله صحيح.

- ليس هناك من «ربما» في هذا الأمر، آنسة سوليفان! أصدر القاضي حكماً قضائياً بذلك منذ ثلاثة أسابيع، وبما أنني والد ميغيل، فيجب أن يكون الآن معي.

أخبرها أليخاندرو بذلك بنبرة باردة كالثلج، ثم تابع بغضب

واضح: «لكن عندما ذهبت إلى منزلك البارحة حسب الاتفاق، رفضت أن تسلميني ميغيل».

قالت متعمده أن تستعمل الاسم الإنكليزي لابن أخيها: «ميشيل مجرد صبي في السادسة من عمره، فقد مؤخراً والديه اللذين لا يعرف غيرهما في حادث سيارة مريع. إنه ليس مجرد رزمة تركت في قسم الأمتعة المفقودة، لتأتي فتصطحبه وتمضي لمجرد أنك والده الطبيعي».

شعرت بروني بأنفاسها تضيق في صدرها من شدة التوتر والغضب، فشدت بقوة قبضتيها على جانبيها. ما تريد القيام به بالفعل، هو أن تصرخ وتقول لهذا الرجل، إن الصبي الصغير ميشيل سيبقى معها، بالرغم من أنه والده الطبيعي، وهي ليست إلا عمته من خلال زواج أمه بأخيها. غير أنها تعلم أن هذا لن يحدث، فالصراع القانوني مع هذا الرجل انتهى، وفشلت فيه فشلاً ذريعاً.

رمقها أليخاندرو بنظرة باردة، وملامح وجهه الوسيم التي ورثها من أصله الإسباني، لم تظهر أي بوادر عاطفة أو تأثر. إنه طويل القامة ذو شعر أسود يلامس عنقه، كما أنه يملك أبرد عينين رماديتين رأتهما بروني يوماً. وجهه قاسٍ، يمتاز بملامح جادة ومتحفظة، كما أن البذلة الرسمية التي يرتديها تضفي عليه هالة من الاستقلالية والسلطة الطاغية. إنه رجل اعتادت بروني على كرهه تماماً وعلى الخوف منه خلال الأسابيع القليلة الماضية، وهي تعمل بكل ما لديها من قوة على مواجهة إصراره الحصول عل ميشيل.

زفر أليخاندرو بضيق، قبل أن يجب على رد بروني الغاضب بكل حزم وتصميم: «أنا مدرك تماماً لعمر ميغيل، آنسة سوليفان! كما أنني مدرك أيضاً، وأنا متأكد من أنك توافقينني الرأي، أن مكانه الآن بقربي ومعي لكونه ابني».

قالت معترضة: «لكنه لا يعرفك».

علق الإسباني الطويل القامة على نحو مفاجئ: «إنني مدرك لذلك أيضاً. لسوء الحظ، ليس هناك ما أستطيع القيام به بشأن السنوات الست التي فاتتني من عمر ابني».

قالت بروني بسخرية: «كان بإمكانك الزواج من أمه منذ سبع سنوات».

زفر أليخاندرو بغضب واضح، ثم أجاب: «لا فكرة لديك أبداً عن الظروف في تلك الأثناء، ولا تفترضي أنك قادرة على إخباري بما كان بإمكاني أن أفعله أولا أفعله منذ سبع سنوات».

- تباً!

كادت بروني تختنق بسبب غصة تشكلت في حلقها، فقررت أن تخبره ماذا كان عليه أن يفعل مؤخراً. قالت: «خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، ومنذ صدور الحكم القضائي الذي انحاز لصالحك، رحت أنتظر بدون جدوى أن تستغل هذا الوقت لتتعرف على ميشيل، لكنك لم تحاول حتى رؤيته. في الواقع، لم أكن متأكدة حتى أنك ما زلت في هذا البلد».

ضاقت نظرة أليخاندرو القاسية، وهو يحدق بها قائلاً: «أين كنت خلال الأسابيع الثلاثة الماضية أمر لا يعنيك».

ثم استدار نحو المحاميين الصامتين، اللذين يراقبانهما باهتمام وحيرة، وتابع قائلاً: «سيد سيموندز! ألا تستطيع أن تشرح لموكلتك أن لا حق لديها بالاحتفاظ بابني بعيداً عني؟ وأن السبب الوحيد لموافقتي على هذا الاجتماع اليوم بحضوركما معاً هو مجرد مجاملة لها؟».

قالت بروني بنبرة فيها سخرية وازدراء: «وهكذا لن تحتاج للعودة إلى المحكمة. أليس كذلك؟».

أكد لها أليخاندرو ببرودة: «لا أخشى مواجهتك من جديد في المحكمة، آنسة سوليفان! فكلانا يعلم أنك ستخسرين مجدداً».

لوى شفتيه قبل أن يتابع: «لكنني أتقبل بالفعل أنك تهتمين لأمر ابني».

ردت بغضب صارخ: «أهتم لأمره؟ أنا أحبه، فميشيل ابن أخي».

قال لها الإسباني بخشونة: «إنه ليس كذلك! في الواقع، لا صلة لك به من خلال قرابة الدم. كان ميغيل في الرابعة من عمره عندما تزوجت أمه بأخيك».

قالت بضيق: «اسمه ميشيل!».

قاطعهما بول سيموندز بلطف: «اسمعي، آنسة سوليفان! نصحتك قبل هذا الاجتماع أنه لا خيار لك بالفعل».

استمرت بروني بالاعتراض، فهي لا تزال غاضبة لموت أخيها وزوجته في حادث السيارة، وترك طفلهما ميشيل يتيماً. قالت: «ما زال ميشيل شديد الاضطراب بسبب خسارة والديه، وأنا متأكدة أن القاضي عندما اتخذ قراره، اعتقد أن السيد سانتياغو سيستغل هذه الأسابيع الثلاثة للتعرف على ميشيل، ولم يتوقع أن يأتي فجأة إلى منزلي مطالباً بأخذ ميشيل معه».

رفع أليخاندرو حاجبيه السوداويين، متسائلاً بفقدان صبر لماذا تستمر هذه المرأة بمواجهته. فعلت ذلك طول الأسابيع الستة الماضية، منذ أن تبين أن ابن أخيها الذي تزوج من أم الصبي هوفي الواقع ابن أليخاندرو، وقد ولد من جراء علاقة قصيرة له مع جوانا منذ سبع سنوات. إن كانت بروني سوليفان تعتقد أن معرفة هذا الأمر لم تؤثر به فهي مخطئة جداً! شعر بانزعاج لا يوصف عندما قرأ في الصحف عن الحادث المرعب الذي قتل فيه ثمانية أشخاص، بمن فيهم جوانا وزوجها طوم. لكن الصورة في الصحيفة لابن جوانا،

الصبي الصغير الذي نجا من الحادث بأعجوبة، أظهرت شبهاً مثيراً للدهشة مع أليخاندرو عندما كان في ذلك العمر، وكانت كافية لإيقاظ شكوكه عن إمكانية كونه والد الصبي. تأكد أليخاندرو من تلك الشكوك من خلال تحقيقات سرية عن جوانا وميشيل، وسرعان ما علم أن الصبي الصغير كان في الرابعة من عمره عندما تزوجت جوانا بطوم سوليفان، وأنها لم ترتبط بأي زواج سابق قبل ذلك. تلك المعلومات أكدت له أن الظروف والوقت متطابقان، بالإضافة إلى الشبه الواضح للطفل به، فقد كان هناك احتمال حقيقي أن يكون ميغيل ابنه.

سافر أليخاندرو إلى إنكلترا على الفور للقيام بمزيد من البحوث والتحقيقات. في نهاية الأمر قام بالمطالبة بابنه بشكل قانوني، فطلب القاضي إجراء الفحوصات المطلوبة لإثبات أبوته لميشيل. جاءت نتيجة الفحوصات إيجابية، وقدمت براهين لا تقبل أي شك. لكن هذه المرأة، بروني سوليفان، الأخت الصغرى لزوج جوانا، ما زالت تعارض ذلك القرار، فتتهمه أنه عديم الإنسانية من بين أمور أخرى كثيرة!

ابتعد عن النافذة بنفاد صبر قائلاً: «كما قلت سابقاً، هذا الاجتماع اليوم مجرد مجاملة فقط. والآن قد انتهى».

اعترضت بروني بحزم: «لا! لم ينته».

أصر أليخاندرو بنبرة تؤكد أنه يكاد يفقد صبره بسبب هذه المرأة المزعجة: «بل انتهى بدون أي شك. ستحضرين حقائب ميغيل، وسيكون بانتظاري جاهزاً للمغادرة في مثل هذا الوقت غداً».

هزت بروني رأسها بعناد، وأجابت: «لا! لن أفعل ذلك. لن أدعك تأخذه بهذه الطريقة».

قاطعها محامي أليخاندرو بلطف: «أخشى القول إن لا خيار لك

في هذه المسألة آنسة سوليفان! فالقانون بجانب السينيور سانتياغو».

تلقى المحامي نظرة غاضبة من عينيها الزرقاوين لتدخله، ما إن استدارت بروني لتنظر إليه. في ظروف أخرى كان أليخاندرو ليراها امرأة جذابة، فجسدها رشيق ونحيل، وشعرها طويل أحمر اللون، وبشرتها كلون القشدة. أما عيناها الزرقاوان فتشعان بالجمال والأنوثة، وهناك هالة من الثقة والنشاط تحيط بها. لكن بما أنها الشخص الوحيد الذي يقف بينه وبين ابنه الذي تعرّف عليه مؤخراً، فهو يجدها مزعجة ومثيرة للغضب إلى أقصى حد ممكن!

ردت بروني بغضب على المحامي: «إذاً! القانون أحمق».

لو أن الظروف مختلفة، لوجد أليخاندرو تصميمها وعنادها أمرين مسليين، فهذا يظهر أن شخصيتها شبيهة بشخصيته. لكن الظروف ليست مختلفة، وفي هذه الأثناء بروني سوليفان تمثل مصدر إزعاج يريد التخلص منه بأسرع وقت ممكن. نظر إليها محاميه بتعاطف، وقال: «سواء كان القانون أحمق أم لا آنسة سوليفان، فإن أبوة السينيور سانتياغو تم إثباتها، وصدر الحكم لصالحه».

قالت بروني وهي تحدق بأليخاندرو بكره واضح: «هولا يحب ميشيل كما نحبه نحن. كان ميشيل في الرابعة من عمره عندما تزوج جوانا وطوم، والآن كلاهما توفي، ولم يبقى غير والديّ وأنا، فنحن عائلته الوحيدة».

قاطعها أليخاندرو باستياء: «لديه جد وجدة، وعم وعمة، وابنا عم في إسبانيا».

علقت بنبرة لاذعة: «هولا يعرفهم، تماماً كما لا يعرفك».

تنهد بعمق محاولاً السيطرة على نفسه وقال: «آنسة سوليفان! أصريت على تقديم هذا الاعتراض طول الأسابيع الستة الماضية، لكن كما قلت لك من قبل: «أنت ووالداك ليس لكم أي صلة دموية

بميغيل».

- أنت حقاً متوحش. أتعلم ذلك؟

وقفت بروني، وتابعت تتهمه بحرارة: «ما زال ميشيل يعاني من كوابيس لأن أمه والأب الوحيد الذي يعرفه توفيا. كيف يمكنك حتى أن تفكر بنزعه من الأشخاص الذين يصدق أنهم جداه وعمته بهذه الطريقة البشعة؟».

قال أليخاندرو من بين أسنانه وببرودة مطلقة: إنني آخذ ما هو لي».

ما زال يشعر بالغموض حيال جوانا، لأنها أخفت وجود ابنه عنه طول تلك السنوات. بالطبع هو يعترف أن علاقتهما كانت قصيرة الأمد، ولم تدم لأكثر من عطلة أسبوعية، لكن ذلك لا يغير حقيقة أن جوانا علمت أن ميغيل ابنه، واختارت ألاّ تخبره بذلك.

حدقت بروني فيه بإحباط وحزن، فهي تعلم أن الفحوصات الطبية أثبتت أن ميشيل ابنه الطبيعي، وتعلم أيضاً أنه يحق له أن يأخذ ميشيل إلى أي مكان يريده. هي لن تحظى بفرصة مهما كانت ضئيلة للاحتفاظ بميشيل، فكيف لمعلمة مدرسة في الخامسة والعشرين من عمرها، أن تقدر على مواجهة رجل تقدر أمواله بملايين الجنيهات، ويملك منازل في كل عواصم العالم المهمة، ويطير حول العالم لملاحقة أعماله بطائرته الخاصة؟ الجواب البسيط على ذلك، أنها لا تستطيع أبداً، لكن ذلك لن يمنعها من المحاولة.

- أنا حقاً لا أملك المزيد من الوقت لأضيعه على هذا الموضوع.

أدار الإسباني المتمرد رأسه ليقول للمحامين بنبرة قاسية: «لدي ارتباطات هامة في المغرب، وقد تأخرت عليها أكثر من أربع وعشرين ساعة حتى الآن».

علقت بروني باستياء وسخرية: «مستقبل ميشيل وسعادته أكثر أهمية من برنامج عملك».

جالت عيناه الرماديتان عليها بنظرة خاطفة، قبل أن يعيد نظره إلى بول سيموندز، ثم قال: «الآن هو الوقت المناسب لك من جديد لتنصح موكلتك، بأن تجهز ميغيل للمغادرة إلى المغرب معي، عندما أذهب إلى شقتها عند الساعة العاشرة من صباح الغد».

ثم أكمل بنبرة حادة وحازمة: «وأي عملٍ آخر سينتج عنه المزيد من الملاحقة القانونية ضد الآنسة سوليفان».

لا بد أنه سيفعل! اعترفت بروني والإحساس بالهزيمة يسيطر عليها. لا تستطيع أن تصدق أن جوانا زوجة أخيها الجميلة المرحة والمحبة للحياة استطاعت أن تتورط مع رجل مثل أليخاندرو سانتياغو، رجل في أواسط الثلاثينيات من عمره، متكبر ومتفاخر، وبارد جداً. كما أنه شديد الحضور. كم يبدو قاسياً بقامته الفارعة الطول وشعره الأسود الداكن وملامح وجهه المتكبرة، لكن ذلك يجعله المثال الأكبر للوسامة والجمال بقامته وببشرته الداكنة وشعره الأسود. حقيقة أدركتها بروني جيداً خلال الأسابيع الستة الماضية، على الرغم من غضبها وإحساسها بالإحباط بسبب رغبته بالحصول على ميشيل.

هل كان بارد العاطفة ومتحفظاً كما هو الآن منذ سبع سنوات، أم أن شيئاً ما حدث خلال ذلك الوقت وجعله بهذه الحالة؟ لا أهمية للأمر الآن، فالمحكمة قررت أنه يملك الحق بالحصول على ميشيل كونه والده، وليس هناك أي شيء يمكن لبروني أن تفعله حيال ذلك الأمر.

نظرت بتحدٍ إلى أليخاندرو، وقالت: «ألم تنسَ شيئاً ما، سيد سانتياغو؟».

رفع أليخاندرو حاجبيه متسائلاً، وقال: «ماذا؟».

أجابت بروني بثقة وبإحساس كبير من الفوز والنصر: «آه! أجل.

أقر القاضي عدة أحكام أخرى، أحدها أنه من الأفضل لميشيل أن يبقى معي لمدة ثلاثة أسابيع، وهكذا سيتمكن من متابعة المدرسة الصيفية».

رمقها بنظرة استياء قائلاً: «والتي انتهت الآن».

- لكنه حكم أيضاً بأن يسمح لي بمرافقة ميشيل لمدة شهر كامل من بقائه معك، وذلك ليؤكد سلامة انتقال ميشيل إلى حياته الجديدة.

قالت ذلك وهي غير قادرة على إخفاء الاشمئزاز من نبرة صوتها.

أدرك أليخاندرو أن القاضي قدم هذا الاقتراح بسبب دقة الوضع وأهميته، لكنه اقتراح لم يفكر للحظة أن هذه المرأة التي تكرهه ستقوم بالأخذ به. بروني سوليفان لن تكون إلا مصدر إزعاج له، إن رافقت ميغيل إلى المغرب، كما أنها ستعارضه في كل قرار يتخذه بشأن مستقبل ابنه.

قال بول سيموندر بحذر: «هذا هو الحل الأمثل بالنسبة لميشيل في الوقت الراهن. ألا تعتقد ذلك سينيور سانتياغو؟».

نظر أليخاندرو إلى محاميه، وقطب جبينه، فتلقى نظرة تفهم كجواب عن سؤاله. ماذا عنه هو؟ تساءل أليخاندرو، وهو يزفر بغضب. إن وافق على هذه الأمر، فالثائرة بروني سوليفان ستستمتع بجعل الحياة صعبة عليه طوال الأسابيع الأربعة القادمة.

بروني ليست سعيدة أيضاً لفكرة الذهاب إلى المغرب، تماماً كما يبدو أليخاندرو من مجرد التفكير في مرافقتها له إلى هناك. أما الأمر الأكثر أهمية بالنسبة لها فهو إدراكها، بالرغم من كل ما يجري، أنها تجد الرجل جذاباً ووسيماً لدرجة أنه يؤثر على أعصابها والمنطق السليم الذي تتحلى به.

من الناحية العملية حضورها سيساعد ميشيل في تقبل التغيير الذي سيطرأ على حياته. ذلك لن يجعل الافتراق عنه في نهاية الشهر أكثر

سهولة بالنسبة إليها، لكنها على الأقل ستتأكد أنه تمكن من التأقلم والعيش بصورة جيدة مع والده. حاولت أن تشرح هذه الأمور لميشيل بالطبع، لكن طفلاً في السادسة من عمره ليس قادراً على تفهم تعقيدات الوضع الراهن.

- سيد سانتياغو!

نظرت إليه لتواجهه بقوة، مدركة تماماً أن الحذر الذي تشعر به نحوه أكثر من متبادل بالنسبة إليه. ليس من المستغرب أنها قاومت هذا الرجل بكل وسيلة ممكنة طوال الأسابيع الستة الماضية، لكن تقبل حق هذا الرجل بابنه ثم المغادرة والابتعاد، في حين أنه سيأخذ ميشيل بعيداً عن الناس الذين يحبهم، أمر مختلف جداً.

رفع أليخاندرو كتفيه العريضتين بدون أيّ اهتمام، وقال بنبرة حاسمة: «سواء اخترت مرافقة ميغيل إلى المغرب أم لا، لا أهمية للأمر».

أجابت بروني بتوتر، ووجهها يتقد من الغضب: «أنا متأكدة من ذلك».

تابع بخشونة، وكأنها لم تقل شيئاً: «لكن إن كان هذا قرارك، فأنصحك بأن تكوني مستعدة أيضاً للمغادرة مع ميغيل صباح الغد عند الساعة العاشرة».

قال ذلك بمنتهى البرودة، وبعناد وتفاخر بغيضين. فقط فكرة البقاء مع ميشيل لمدة شهر إضافي تجعلها تقتنع بقضاء لحظة واحدة برفقة هذا الرجل الذي تكرهه تماماً. إنه يجعلها تشعر بضعف في ساقيها لمجرد النظر إليه، ويجعل نبضها يتسارع بشكل جنوني!

٢ - رحلة إلى المغرب

- عمتي برو! هل رأيت بركة السباحة والشاطئ ونحن نصعد إلى هنا؟ عمتي برو! هل رأيت الشاطئ؟

سألها ميشيل ذلك بحماس، وهو يفتح الباب الزجاجي الكبير الذي يوصل إلى غرفة النوم، التي أعلمه أليخاندرو أنها ستكون غرفته أثناء إقامتهم هنا. كما أعلم أليخاندرو بروني بنبرة قاسية أنها تستطيع استعمال الغرفة المجاورة.

- يمكنني رؤية الشاطئ من هنا، أليخا... أبي.

صحح ميشيل لنفسه بتوتر، وهو يتحدث مع الرجل الطويل الصامت الذي رافقهما إلى الطابق العلوي.

- البحر لونه أزرق بل أخضر غامق، والرمال بيضاء تقريباً، وأنا...

- لا تقترب كثيراً من السياج، ميشيل!

قالت بروني له ذلك، وهي تتبعه إلى الخارج، سعيدة بالحصول على لحظات قليلة من دون حضور أليخاندرو المتسلط المتكبر. حرارة شمس أواخر شهر تموز في المغرب أحرقتها، وهي تنظر إلى بساتين البرتقال الممتدة أمامها حتى تصل إلى البحر. ليس من الصعب تفهم حماس ميشيل وسعادته في محيطه الجديد. لو أنهما معاً في عطلة

www.elromancia.com

هنا، لشعرت بروني بالحماس والفرح أيضاً بسبب المكان والمناظر الرائعة المحيطة بهذه الفيلا، لكن معرفتها أنها ستعود بمفردها بعد انقضاء الشهر، تأخذ كل الحماس الذي قد تشعر به من جراء هذا البذخ والجمال المحيطين بها.

كان عليها أن تعلم أن منزل الإسباني في المغرب بمثل هذا الجمال! بعد تواجدها في الطائرة الخاصة التي أقلتهم إلى هنا بمقاعدها الإثني عشر، والتي تشبه الأسرّة أكثر مما تشبه المقاعد العادية، وبوجود شاب قدم لهم غداء يفتخر أشهر مطعم في لندن بتقديمه، لم يعد أي شيء يفاجئها. مع ذلك، هذه الفيلا الرائعة التي تقع عل تلة مرتفعة أذهلتها، فهي محاطة بشرفات على مستويات عدة، والمدخل الرخامي مكيف بطريقة تشعرك بالراحة بعد المسافة الطويلة التي يقطعها القادم من المطار. المفروشات ذات اللون الأبيض تضيف الإحساس بالبرودة والانتعاش. أما بركة السباحة التي تلمع بشدة، كأنها تدعو القادم للسباحة، فهي الخيار الأفضل أمام إغواء الشاطئ والبحر المتوسطي الممتد على مسافة بعيدة.

على الرغم من إحساسه الطبيعي بالخشية والحذر، تأثر ميشيل بما يحيط به، لا سيما بعد صعوده إلى الطائرة الخاصة صباح هذا اليوم. صحيحٌ أنه ما زال خجولاً أمام والده الغامض المتحفظ، الذي صعد إلى الطائرة وتجاهلهما تماماً، وانشغل ببعض الأوراق التي كان يحملها في حقيبة عمله، إلا أن حماس الصبي لم يخفت حتى بعد أن أصبحوا في الجو.

تمنت بروني لو أنها تستطيع مشاركة ميشيل سعادته الطفولية، لكنها على العكس منه، ظلت تشعر بقوة بحضور أليخاندرو سانتياغو خلال الرحلة كلها. بعدئذٍ جلس أليخاندرو معهما في سيارة الليموزين التي كانت بانتظارهم، لتقلهم من المطار عبر طريق الساحل الغربي للجزيرة

إلى هذه الفيلا الرائعة.

لم يكن يرتدي واحدة من البذلات الرسمية التي شاهدته دائماً يرتديها خلال معركتهما القانونية. بدا أكثر طولاً وأكثر هيبة، ووسيماً بشكل لا يقاوم بثيابه العادية المكونة من سروال أسود أنيق وقميص سوداء قصيرة الكمين. هذا الزي يناسبه أكثر في الطقس الحار.

بدت تصرفات أليخاندرو مهذبة، عندما وصل إلى شقتها في وقت باكر عند الصباح. لم يظهر أي أثر لعواطفه، عندما رأى أن بروني حزمت أمتعتها، وهي جاهزة لمرافقة ميشيل. هو في الواقع، لم يعترف بوجودها مطلقاً. وجه كلامه إلى ميغيل، وهي ملاحظات تجاهلها ميشيل بشكل مطلق حتى أدرك أخيراً أن ميغيل هو اسمه.

رؤيتهما معاً جعلت بروني تدرك بألم لماذا كان أليخاندرو متأكداً أن ميشيل ابنه. كلاهما يملكان شعراً أسود داكناً وعيوناً رمادية، وحتى وجه ميشيل الطفولي يحظى بزوايا قاسية تحمل ملامح والده. أما حقيقة أن ميشيل أطول من الأطفال في مثل عمره، فتدل على أنه في النهاية سيحصل على قامة مماثلة لقامة والده أيضاً. قال أليخاندرو بتهذيب ما إن رأى نظرة بروني المليئة بالدموع، وهي تحدق بميغيل الذي راح يركض من جانب إلى آخر على الشرفة، كي يشاهد المناظر الرائعة للوادي وللبحر الأزرق المشع: «لا أعتقد أنني أعطيتك سبباً لتعتقدي أنني سأكون والداً حازماً مع ميغيل».

استدارت لتنظر إليه. بدت عيناها أكثر زرقة وأكبر مما هما عليه مع الدموع العالقة برموشها الطويلة السوداء. أجابت بنبرة لاذعة: «حتى الآن لم تعطني أي سبب لأعتقد أنك ستكون أي نوع من الآباء له».

ربما لأنه ما زال يجد صعوبات في التصديق أنه والد ميغيل! هذا لا يعني أنه تساءل عن الأمر للحظة، فهو يعلم من الفحوصات الطبية أن ليس هناك من مجال للشك.

ظهر الضيق على وجهه قبل أن يقول: «طلبت أن يقدم الشراب على الشرفة بجانب بركة السباحة، عندما تنتهين من الاغتسال وتبديل ثيابك بعد الرحلة».

استدار ليفتح باب غرفة النوم، وتابع منادياً: «ميغيل!».

وكأنه يعرفه منذ ولادته! هذا ما فكرت به بروني، وهي ترى ميشيل يركض سعيداً لمرافقة الرجل الذي أصبح والده الآن. كما هو متوقع، وجودها هنا يجعل من الأسهل على الصبي الصغير أن يتقبل تبدل ظروف حياته. جلست بتثاقل على سرير ميشيل، ودفنت وجهها بين يديها، ما إن انهمرت الدموع التي كانت تخنقها على خديها الشاحبين. دموع لطالما حبستها فأرهقتها...

أصيبت بروني بصدمة كبيرة بعد حادث السيارة الذي قتل فيه جوانا وطوم، لكنها بذلت المزيد من الجهد كي تتماسك عاطفياً من أجل والديها الحزينين وميشيل المرتعب. لم تحظَ بأي فرصة لتعبر عن حزنها وتتخلص منه. أما الآن، وفي وسط هذه الرفاهية التي تمكن أليخاندرو سانتياغو من تقديمها لميشيل، بدا لها أن الوقت مناسب للقيام بذلك.

- أتيت من أجل... لماذا تبكين؟

قال أليخاندرو ذلك بخشونة ما إن توقف عند الباب. رفعت بروني نظرها إليه، غير قادرة على عدم ملاحظة قوته ووسامته على الرغم من الحزن المسيطر عليها. ضاقت نظرة عينيها، وسألته بغضب: «لماذا أبكي برأيك؟».

يا له من رجل مزعج! إنه يجعل دقات قلبها تتسارع رغماً عنها، فكيف به وهو يشاهد الحزن المسيطر عليها، والذي لم تعد قادرة على إخفائه والسيطرة عليه؟

رفع أليخاندرو ذقنه بتحدٍ، وأجاب: «لا فكرة لدي مطلقاً».

- أحقاً؟

وقفت بروني على الفور، فلحظة ضعفها انتهت، وكأنها غطست في مياه باردة كالثلج. قالت بازدراء: «بالطبع! لا يمكنك أن تعرف السبب. ما هو السبب الذي دفعك للعودة؟».

مسحت كل أثر للدموع عن خديها، قبل أن تستدير وتنظر إليه بشكل مباشر.

اعترف أليخاندرو أن هذه المرأة الشابة تملك شجاعة واضحة، مع أنه شعر بالقلق بسبب بكائها. إنها شابة يافعة جداً، وهي تصغره بعشر سنوات، فهو يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر. لقد تحدّته ونازعته في المحاكم. لكنها لا تواجهه بحكمة، فما إن تأكد أليخاندرو من أبوته لميغيل، لم يعد هناك أي شك بأنه سيحظى بالوصاية على الصبي لكونه ابنه. مع ذلك، لا يمكنه القول إنه لم يتأثر بدموعها، أومن حقيقة أن حزنها منحها مسحة من الجمال الرقيق، لا سيما أن عينيها بدتا شاحبتين مثل وجهها الحزين. رفعت بروني شعرها الطويل الأحمر إلى أعلى رأسها، ما أبرز عنقها الجميل وبشرتها الناعمة، وأعطاها هالة من الرقة، وهذا أمر لم يشاهده فيها من قبل.

قال بنبرة حازمة مؤكداً ما يراه بوضوح: «أنت منزعجة. ربما تفضلين أن أعيدك على الفور إلى إنكلترا!».

رفعت بروني ذقنها لتدافع عن نفسها قائلة: «هذا ما تحب أن تفعله. أليس كذلك؟».

زفر أليخاندرو بفقدان صبر، وأجاب: «أحب كثيراً أن أضع حداً لهذا النزاع بيننا. هذا صحيح».

- أستطيع المراهنة على ذلك.

ضحكت ضحكة لا أثر للمرح فيها، وأضافت باستياء: «أرغب في البقاء هنا طوال المدة المطلوبة».!

- يا إلهي!

تابع يحذرها بضيق من عنادها، وهو يشد بقوة قبضتيه إلى جانبيه: «لا تحاولي استغلال صبري كثيراً، بروني! فأنا لا أستطيع أن أكون صديقاً أكثر من كوني عدواً».

صديقاً؟!

تردد صدى هذه الكلمة في رأس بروني، وهي تعترف لنفسها أنها المرة الأولى التي يستعمل فيها أليخاندرو اسمها، منذ أن تعرفت عليه. لكنها ستضع تلك الألفة جانباً، إذ ليس هناك من وسيلة لإنشاء صداقة مع هذا الرجل. لا أحد من أصدقائها الرجال جعل أعصابها ترقص بهذه الطريقة، كما يحدث لها لمجرد كونها برفقة هذا الرجل.

- أعتقد أنك ستجدني تماماً كما تقول عن نفسك، أليخاندرو!

أجابت بنعومة وعيناها تلمعان بتحد، بعد أن تعمدت أن تستعمل اسمه الأول كما فعل. رأت كيف بدأ عصب من فكه المشدود ينبض بقوة، وهويقول: «أنت هنا لسبب اضطراري فقط».

ردت عليه بسخرية: «لكن يبدو أنني لست الوحيدة التي تعاني هنا».

ضاقت نظرة عينيه الرماديتين وهو يرمقها ببرودة، ثم رفع كتفيه كأنه يرغب في التمدد ليظهر مدى ارتفاعه. قال: «أبدى ميشيل رغبة في السباحة في البركة. ربما تتكرمين بإعطائي ثياب السباحة الخاصة به؟».

ميشيل!

غادرها غضبها فجأة، ما إن فكرت بالسبب الوحيد لوجودها هنا. مهما كانت ترغب في مواجهة أليخاندرو سانتياغو والتغلب عليه، فليس هذا ما يهمها حقاً.

تمتمت: «بالطبع!».

سارت نحو الحقيبة التي تحتوي على الثياب التي رتبتها بعناية وحب ليلة البارحة، عندما عادت مع ميشيل من زيارة والديها. أعدت أيضاً العديد من الصناديق التي تحتوي على ألعاب ميشيل والتي حملت كلها على متن الطائرة هذا الصباح، منتظرة بالطبع أن تنقل في نهاية الأمر إلى منزل أليخاندرو في إسبانيا. في الواقع، كل ما يملكه ميشيل تم إحضاره في الطائرة باكراً هذا النهار.

فتحت الحقيبة وأخرجت سروال السباحة القصر الزاهي الألوان. مرة ثانية أظلمت الدموع عينيها، مع أنها مصممة ألا تبكي أمام أليخاندرو من جديد. من الواضح أن الرجل يرى ذلك ضعفاً فيها، وبإمكانه الاستفادة من ذلك، فعرضه إعادتها إلى بلادها حالاً هو خير دليل على ذلك.

تساءل أليخاندرو، هل ستبكي من جديد؟ فكر أنه لم يعرف يوماً كيفية التعامل مع دموع المرأة، لا سيما مع فرانسيسكا خلال زواجهما القصير والتعيس. بقيت نظرته الثاقبة على وجه بروني، وهو يمد يده ليأخذ سروال السباحة منها. نسي تقريباً ما يريده ما إن لامست يده يدها. تلقى على الفور ما يشبه صدمة كهربائية هزت أصابعه، وتابعت على امتداد ذراعه. خطف السروال بسرعة، قبل أن يبعد يده بطريقة مفاجئة. أخفض جفنيه فوق عينيه الباردتين كالفولاذ، ونظر إليها من تحت أنفه.

هذه المرأة مثيرة للإزعاج بشكل لا يحتمل، وهي مثيرة للغضب أيضاً! إنها مصدر إزعاج يتمنى بكل صدق أن يتخلص منه. مع ذلك، ولفترة تقل عن الثانية، علم أنه متأثر بها. لاحظ بشرتها الناعمة الباهتة، والدماء التي تتدفق بنعومة تحت بشرتها، لدرجة أنه كاد يشعر بنبض تلك الدماء في عروقها.

كم هو أحمق! إنه يشعر بالحرارة والعطش، كما أنه متعب قليلاً

من المواجهة الكلامية التي تحدث كلما كان قرب هذه المرأة. تراجع إلى الوراء قائلاً بنبرة حاسمة: «سأجلس قرب البركة مع ميغيل، حتى تأتي إلى هناك وتنضمي إليه».

رفعت بروني نظرها إلى أليخاندرو، وحدقت به من تحت رموشها السوداء. ما الذي حدث بينهما الآن؟ شيء ما يشبه الصدمة الكهربائية، يضاف إلى اهتمامها وإحساسها المتزايد به. كانت مجرد لحظة، لحظة قصيرة جداً، حيث بدا كل شيء أكثر وضوحاً وأكثر حدة، لدرجة أنها كادت تسمع دقات قلب أليخاندرو.

هذا أمر بمنتهى السخافة، لأن هذا الرجل لا يملك قلباً. لوأنه يملك قلباً لما استمر في التصرف بهذه الرعونة في ما يتعلق بميشيل. سيكون راغباً في جعل الأمور تحدث بدون ألم بقدر ما يستطيع من أجل ابنه الصغير. لو أن له قلباً، لجعل استجابتها غير المرغوب بها نحوه أكثر خطراً عليها!

سألته بهدوء: «أفترض أن انضمامي لميشيل سيعطيك الفرصة للقيام بالأعمال المهمة أوأي شيء آخر. أليس كذلك؟».

أظهر الغضب الواضح على شفتيه المنحوتتين مدى نفاد صبره: «أنت تعرفين أن لدي ارتباطات عمل مهمة هنا».

علقت بروني بانزعاج: «لا تدعنا نؤخرك، إذاً».

حدق بها، وعيناه تقذفان شرراً بلون الفضة، وهو يقول: «أنت ضيفة في منزلي، بروني! ولأنك كذلك ستعاملين باهتمام واحترام، لكن كما حذرتك من قبل، لا تبالغي في استفزازي، وإلا فلن تعجبي بالنتائج».

هي لا تشك مطلقاً أن بإمكان أليخاندرو أن يجعل حياتها مقلقة وعديمة الراحة، أكثر مما تستطيع أن تفعل معه. إن قرر القيام بذلك، هي متأكدة أن التجعيدة الصغيرة التي تراها في مناسبات قليلة على

شفتيه، قد تتحول ببساطة إلى عمل ما ضدها. غير أنه لا رغبة لديها مطلقاً بأن تشعر بأي خوف أو تهديد من قبل هذا الرجل. قالت بتعالٍ: «سأبقي ذلك في فكري. والآن إن كنت لا تمانع أرغب في الذهاب إلى غرفتي لإفراغ حقيبتي، قبل أن أنزل إلى بركة السباحة».

قالت ذلك، وكأنها تأذن له بالانصراف، وهذا أمر لم يعجبه أبداً. لاحظت بروني ذلك من خلال لمعان عينيه، والتوتر الواضح في كتفيه، وهو يسير بخطى واسعة وواثقة خارجاً من الغرفة.

إنها غاضبة جداً من تأثير أليخاندرو سانتياغو عليها، وهي لا تشعر مطلقاً بالراحة بقربه. في الواقع، تشعر أن بشرتها تخزها كلما كانت قريبة منه، وكأنها نبتة القرّاص لسعتها. كما أنها تشعر في كل مناسبة برغبة شديدة لتهزه وتخرجه من ذلك التفاخر البارد، الذي يلبسه كالمعطف حوله. إنها ببساطة لا تكف عن التساؤل كيف حدث لجوانا المرحة المحبة للحياة أن تغرم بشخص بارد ومتحفظ مثله.

لا بد أن تفاخره درع يخفي الرجل الحقيقي تحته. أو على الأقل، هذا ما تمنته من أجل مصلحة ميشيل.

٣- حراسة في الخفاء

شعر أليخاندرو بالسرور لأنه يضع نظارتيه الشمسيتين، عندما خرجت بروني إلى الشرفة بعد عشر دقائق مرتدية ثوباً للسباحة فيروزي اللون. الثياب التي كانت ترتديها دائماً من بذلات رسمية أو سراويل وقمصان ضيقة، لم تكن تظهر رشاقة جسدها. يرى أليخاندرو الآن بوضوح، أنها تملك جسداً جميلاً ورائعاً بشكل مطلق، مع بشرة ذهبية تغطي جسمها بأكمله.

لكن يبدو أنها غير مدركة لما تتمتع به من جمال، فها هي تسير بهدوء نحوه، وجسدها يتمايل برشاقة، وكأنه غير موجود أمامها. أدرك أليخاندرو أنه شعر بإحساس غير متوقع نحوها.

قالت له ببرودة، ما إن ألقت بنفسها على المقعد الطويل المجاور له: «أنت حر في الذهاب الآن».

نبرتها الساخرة قضت على الفور على أي إحساس لديه، باستثناء الغضب الذي ينتابه كلما تواجد مع هذه المرأة. قال بغضب، ما إن وضع قدميه على أرض الشرفة: «هذا ما أرغب في القيام به. سيقدم العشاء عند الساعة الثامنة والنصف».

قالت معترضة وهي تهز رأسها باستغراب: «هذا وقت متأخر جداً على ميشيل».

اعترف أليخاندرو بضيق، من المحتمل أنه كذلك! لم يفكر كثيراً بالتغييرات التي ستطرأ على حياة ميشيل وروتينه اليومي. حقيقة أن لديه صبياً ما زالت مصدر دهشة له. لم يعتقد للحظة أن بروني فكرت بذلك، وكما يبدو هي تعتقد أنه لا يملك أي عاطفة على الإطلاق. ردة فعله منذ دقائق قليلة لرؤيتها بثوب السباحة أعلمته أنه يناقضها الرأي تماماً. الآن لديه عدة اتصالات هاتفية يجب أن يجريها قبل موعد العشاء. وواحدة منها على الأقل ستكون طويلة جداً.

قررت بروني أن تعامله بشفقة وتعاطف، بعد الإحباط الواضح الذي ظهر عليه، فقالت: «ربما أستطيع التحدث إلى الطاهي، وهكذا يمكنه أن يعد شيئاً ما لميشيل في وقت باكر، فميشيل ينام عادة عند الساعة الثامنة».

فكرت أن ذلك سيتغير الآن بدون شك، لأن ميشيل سيعيش على طراز الحياة في المتوسط. لكن ليس الليلة! قررت وهي تراقبه يسبح في البركة بخفة. لا بد أنه سيتعب كثيراً في بداية المساء، كما أن هناك ما يكفي من التغيير في حياته ليوم واحد. يحتاج ميشيل إلى شيء من روتين حياته العادية، كي لا يصبح كل ما حوله خارجاً عن السيطرة.

- هذا أفضل له، كما أعتقد.

هز أليخاندرو رأسه بطريقة تدل على رغبته في الانتهاء من التحدث معها، واستدار مغادراً.

تمتمت بروني بجفاء، وهي ترفع نظرها إليه: «قل لي! من كان ليهتم بميشيل لولم أكن هنا؟».

ضاقت نظرة أليخاندرو، وقطب جبينه، وهو يقول: «اتفقت مع ابنة ماريا أن تبقى بصحبته. ماريا هي الطاهية هنا».

فسّر لها ذلك بانزعاج، قبل أن يزفر بضيق.

ابتسمت بروني! وعلقت: «لكنها أيضاً غريبة عنه».

- بروني! أنت لا...

توقف أليخاندرو عن متابعة ما يقوله. ضغط على شفتيه مؤكداً مدى قساوة ملامح وجهه، قبل أن يتابع بهدوء: «هذا وضع جديد هنا، وأقترح عليك إعطاءنا الوقت الكافي لنتمكن من التأقلم».

لم يثنها كلامه المنطقي، بل قالت: «أنت تعني أنه وضع جديد عليك أنت، أما أنا فكنت قادرة على الاعتناء بميشيل بمهارة كاملة طول الشهرين الماضيين».

زفر أليخاندرو بقوة، وقال: «هل تنوين التشاجر معي طوال مدة بقائك هنا؟».

أجابت: «هذا محتمل».

في النهاية، مصلحة ميشيل هي ما تهمها. مع أنه عليها الاعتراف أن أليخاندرو سانتياغو لا يبدو غريباً في هذا المكان، فوسامته تتألق أكثر في هذا الطقس. في الواقع، هي بشعرها الأحمر وبشرتها الشاحبة، بعيدة عن هذه الأجواء. هذا أحد الأسباب التي تجعلها هجومية، فتتصدى له باستمرار، أما السبب الآخر، فهو ذكرى تلك اللحظة القصيرة من المشاعر الحسية التي تولدت بينها وبين أليخاندرو منذ وقت قصير.

وجد أليخاندرو نفسه مرتاحاً ولو قليلاً. هز رأسه بحزن قائلاً: «هذا كلام صادق، بكل الأحوال!».

أكدت له بروني: «آه! أعتقد أنك ستجدني صادقة على الدوام».

هز رأسه، وقال: «جيد!».

ابتسم قليلاً، ما إن رأى الدهشة على ملامح وجهها بسبب إجابته، فتابع: «الصدق أمر استطيع التعامل معه، أما الخداع والمكر فأجدهما أمرين غير مقبولين».

قطب جبينه ما إن فكر بأكاذيب فرانسيسكا ومكرها، وبزواجهما

الذي علمه ألا يثق بامرأة مطلقاً بعد اليوم.

- إن رغبت في الاتصال بأحدهم لتعلميه أنك وصلت بأمان...

كررت وهي تبتسم له بسخرية: «أحدهم؟!».

أجاب أليخاندرو بخفة ليخفي فقدان صبره: «والديك ربما... أنا متأكد أنهما يرغبان بمعرفة أنك وصلت مع ميغيل بأمان إلى هنا».

اختفت ابتسامة بروني، ما إن فكرت بأمها وأبيها. أصيبت أمها بالمرض من شدة الحزن على طوم وجوانا بسبب موتهما المفاجئ، وكان على والدها أن يتعامل مع ذلك، تماماً كما عليه تحمل معاناته وحزنه. أما حالة ميشيل الدقيقة فكانت خارج معاناتهما في هذه الأثناء. اعترفت بحزم: «أنا متأكدة أنهما سيشعران بالراحة أكثر بعد اتصالي».

هز أليخاندرو رأسه قائلاً: «من فضلك! اشعري بالراحة في استعمال الهاتف في الفيلا ساعة تشائين، فلدي خط آخر في مكتبي من أجل الأعمال فقط».

أبعدت بروني أفكارها عن مآسي والديها، وأخذت ملامح وجهها تتحداه من جديد، وهي تنظر إليه قائلة: «حسناً! لم أشك مطلقاً بذلك».

شدّ أليخاندرو على أسنانه، قبل أن يقول: «أتمنى ألاّ يستمر هذا الجدال أثناء تناول الطعام أيضاً».

ردت عليه باستياء قائلة: «آه! أعتقد أن هذا ما سيحدث».

إذاً الغضب والضيق اللذان يشعر بهما أليخاندرو برفقة هذه المرأة سيترافقان الآن مع عسر الهضم، بعد كل وجبة يتناولها. أحس بشوق إلى الحياة المنظمة التي كان يحياها قبل شهرين، قبل أن يكتشف أن ميغيل هو ابنه، وقبل أن تدخل المجنونة بروني سوليفان حياته، ثم ترفض أن ترحل عنه.

هز رأسه وقال: «كما تشائين».

قالت له بروني باستياء: «آه! ليس هذا ما أشاؤه أبداً، أليخاندرو! ما كنت هنا لوأن أمنياتي تتحقق!».

لم يتحدث معه أحد من قبل كما تفعل هذه المرأة! أدرك أليخاندرو ذلك بتوتر وضيق. الصدق الذي أشاد به قبل قليل أمر مزعج، إذ كما يبدو لا تشعر بروني بأي حرج في قول أي شيء يخطر ببالها، وهذا أمر مختلف تماماً. تقبل أليخاندرو ذلك وهو يقطب جبينيه: «بروني!».

- عمتي برو! هل ستأتين للسباحة معي؟ عمتي برو...!

ناداها ميشيل بحماس من داخل البركة، وهو يسبح باتجاه الحافة، ويبتسم لهما معاً. بدا وجهه جميلاً جداً، وشعره الأسود الناعم ينزلق على عنقه بعيداً عن وجهه.

- بالطبع، حبيبي!

رفعت بروني حاجبيها بسخرية باتجاه أليخاندرو، ثم تحركت برشاقة وهي تنهض على قدميها. رفعت يدها لتسحب الرباط عن شعرها، وتركته يسقط بحرية فوق كتفيها وظهرها.

شعر أليخاندرو كأن الوقت قد توقف، وهو يراقب الخصل الحمراء تنسدل على ظهرها. لامست أشعة الشمس طبيعتة الحريرية اللامعة كالنار، فبرز لون ذهبي بين خصلات شعرها الأحمر، بدا كأنه ألسنة من نار متوهجة. يعلم أن بروني معلمة مدرسة، لكنها لا تشبه أياً من المعلمات اللواتي عرفهن طول سنين دراسته. قال بنبرة حازمة، قبل أن يستدير، ويسير بخطى واسعة نحو الفيلا: «أراكما في وقت لاحق».

عليه أن يعمل! هذا ما قاله لنفسه، وهو يقاوم الرغبة في البقاء قرب بركة السباحة، ليراقب بروني وميشيل. ابتعد عن عمله لمدة ثلاثة

أيام، ولديه العديد من الاتصالات والرسائل المنتظرة ليرد عليها.

ذلك كله قبل أن يحاول استرضاء المرأة الأخرى في حياته، والتي تثير المشاكل في وجهه لكن من ناحية مختلفة تماماً.

* * *

-آه! أليست هذه الجلسة حميمة؟

قالت بروني ذلك باستياء، ما إن نظرت إلى طاولة الطعام الطويلة، حيث يجلس مضيفها في وحدة قاسية في الجانب الآخر من الطاولة، التي تتسع لأكثر من عشرة أشخاص. إنه يبدو فاتناً، بالطبع! أليس متأنقاً قليلاً لتناول العشاء مع امرأة يعتبرها في أفضل الأحوال ضيفة غير مرحب بها؟ بذلته السوداء الرسمية مع قميص بيضاء كالثلج، تضفي على ملامحه الوسيمة جاذبية محببة، تفضل بروني البقاء بعيدة عنها.

لم تعلم ما الذي عليها أن ترتديه لتناول العشاء، لكن راودها إحساس أن عليها أن تبدو أنيقة ولو قليلاً. ارتدت بروني ما اعتبرته ثوباً يمكن الوثوق بطرازه، فلونه أسود، وهو يصل إلى ركبتيها، كما أن شريطي الكتفين يناسبان جيداً بشرتها السمراء، التي اكتسبتها خلال الساعات التي جلست فيها قرب البركة. على الأقل، ميشيل يقضي أوقاتاً رائعة بسبب تجربة الحياة في بيته الجديد، وقد استسلم للنوم بعد دقائق فقط من وضعه في السرير. نظرت إلى مضيفها بنظرة ثاقبة، وسألته: «هل صعدت إلى غرفة ميشيل، وتمنيت له ليلة سعيدة؟».

تنهد أليخاندرو في أعماقه. لا بد أن العشاء سيصبح ساحة معركة، في كل مرة يتواجد فيها مع هذه المرأة!

قال بضيق: «كان قد استسلم للنوم في الوقت الذي صعدت فيه إلى الطابق العلوي».

علم أن هذه نقطة سوداء أخرى تضاف إلى سجله بالنسبة إلى

بروني سوليفان. طريقة التماع عينيها الزرقاوين أعلمته أنه أصاب تماماً بما فكر به.

علقت بروني بعدم رضا: «إذاً! ربما كان عليك الذهاب إليه في وقت أبكر».

انتقادية تماماً كما هي دائماً. تتكلم بصراحة وجرأة، وهذه ليست صفة مريحة في أي امرأة.

قال: «ربما علي أن أفعل ذلك، لكن...».

توقف عن الكلام على الفور، ما إن دخلت ماريا، وهي تحمل لهما الطبق الأول.

قالت بروني، وهي تستدير لتبتسم للمرأة المغربية اللطيفة: «شكراً لك!».

أمضت ساعة مسلية في المطبخ مع ماريا في وقت سابق، بينما كان ميشيل يتناول الشاي. تمكنت المرأتان من التحدث قليلاً بسبب المعرفة القليلة لبروني بالإسبانية، كما أن ماريا تعرف القليل من اللغة الإنكليزية، فقد اكتسبتها من السياح الذين يأتون بالعشرات إلى هذه الجزيرة الجميلة كل عام. حواجز اللغة لم تشكل أي عائق أمام حب ماريا الواضح للأطفال، فبينما كانت تتحدث، راحت تبتسم لميشيل في كل فرصة سانحة.

غابت ابتسامة بروني، ما إن غادرت المرأة غرفة الطعام. استدارت، فوجدت أليخاندرو يراقبها بعينين ملؤهما الغموض. قالت: «أنا متأكدة أن ميشيل يرغب في التعرف على المنطقة أثناء وجودي هنا، لذا ربما أستطيع استعمال سيارة في الغد».

اقترحت ذلك بنبرة سيدة أعمال، فقد قررت قبل أن يستحم ميشيل وينام، أن فرحته ببركة السباحة ستختفي، إن كان هذا ما عليه القيام به طوال النهار.

كما أن الخروج والتنقل في المنطقة يعني الابتعاد عن الوسيم المثير للقلق أليخاندرو سانتياغو.

- سأضع سيارة الليموزين والسائق تحت تصرفك.

- من الصعب مقارنة ذلك بالتنقل بحرية في المكان كما أشاء. أليس كذلك؟

اعترضت بروني، وهي تتناول شيئاً من المقبلات التي تتكون من اللحم المجفف والبطيخ، ووجدت أنه طبق شهي.

ضاقت نظرة أليخاندرو، وهو يلاحظ ذلك الشعر الأحمر، الذي رفعته إلى أعلى رأسها هذا المساء أيضاً. بدت ألسنة النار هادئة، وليس هناك إلا خصلة تتمايل وتغطي جبهتها الناعمة. هناك الآن سمرة ناعمة تظهر على بشرتها الذهبية، وأحمر شفاه لماع يُظهر امتلاء شفتيها، في حين أن الانحناء الخفيف لعنقها يظهر للعيان، أما رقة جسدها ونحوله فيبدوان واضحين بشدة من خلال ثوبها الأسود الضيق.

قال بحذر: «أنا أفضل أن يأخذك سائقي إلى أي مكان ترغبين في الذهاب إليه».

لمعت عيناها بشيء من السخرية، وهي تعلق: «ألا تثق بي؟ أتخشى أن اختفي، وأعود إلى إنكلترا برفقة ميشيل؟».

ضغط على أسنانه، قبل أن يؤكد بحزم: «سأجدك إن فعلت ذلك».

قطبت جبينها للحظة، وهي تنظر إلى وجهه. أخيراً تمتمت بانزعاج: «أستطيع المراهنة على أنك قادر على القيام بذلك أيضاً».

علق أليخاندرو بلا اهتمام: «إنه رهان رابح».

نظرت إليه بروني بإحباط، وقالت: «أفضل أن أقود سيارتي بنفسي، وهكذا ستتمكن من اكتشاف المنطقة على هوانا!».

لا رغبة لديه بالشجار معها أكثر من ذلك. أكد أليخاندرو بحزم: «قلت لك إن جوان سيسعد بأخذك إلى أي مكان ترغبين في الذهاب إليه».

أجابت بروني بغضب، وهي تضع سكينها وشوكتها على الطبق وتبعده عنها، بعد أن فقدت كل إحساس بالشهية: «إذاً! أنا وميشيل نعتبر سجينين فعلياً أثناء إقامتنا هنا. أليس كذلك؟».

بدا أليخاندرو ذلك الإسباني المتكبر بكل ذرة من كيانه، وهو يرمقها بهدوء وتعالٍ قائلاً: «المسألة هنا ليست بجعلكما سجينين».

- ما هي المسألة إذاً؟

سألت بروني وهي تتقدم إلى الأمام، وقد ظهرت بقعتان حمراوان من شدة الغضب على خديها.

زفر بضيق قائلاً: «أنت امرأة صعبة جداً».

أكدت له وقد نفد صبرها: «كوني صعبة أمر أستطيع التعايش معه، لكن كوني سجينة هذا ما أعترض عليه».

نظر أليخاندرو إليها لعدة لحظات، وبدا محبطاً من كيفية التعامل معها. لمعت عيناه ببرودة واضحة. أخيراً قال ببرودة: «حسناً! يمكنك أن تأخذي سيارة، وتذهبي إلى حيث تشائين، لكنني لا أستطيع أن أسمح لك باصطحاب ميغيل في المنطقة بدون حماية».

حدقت بروني به غير مصدقة. ما الذي يتكلم عنه بحق السماء؟

قال لها أليخاندرو بغضب: «ميغيل هو ابني، بروني!».

- صحيح! لكن...

- لا بد أنك لاحظت الباب الكهربائي والسياج العالي، ما إن دخلنا الفيلا.

- أجل! لكن...

- كما أن هناك عدداً من الحراس الذين يتجولون دائماً في

المكان. لا تكوني ساذجة بروني!

تابع بانزعاج، ما إن استمرت في النظر إليه بحيرة وتساؤل: «حصل عدد لا يستهان به من حوادث الخطف في السنوات الأخيرة في أوروبا، ومعركتي في الحصول على الوصاية على ميغيل ظهرت في كل وسائل الإعلان».

شعرت بروني بإحساس من المرض، ما إن ظهرت لها الحقيقة الكاملة لكلامه. إنه أليخاندرو سانتياغو الفاحش الثراء. ولا بد أن ابنه ميغيل سيصبح هدفاً للخاطفين!

بلعت غصة بصعوبة، قبل أن تقول: «لكن.. ميشيل كان يعيش معي بصورة علنية طوال الشهرين الماضيين».

هز أليخاندرو رأسه موافقاً، وأكد لها بنبرة متعالية متفاخرة: «وضعته تحت حراسة دائمة منذ أن علمت بوجوده. بشكل هادئ، وبدون أي إزعاج أو تطفل، لكن حمايته كانت مؤمنة بشكل دائم».

هذا أمر لا يصدق! طيلة ذلك الوقت... طوال تلك الأسابيع... وهي لا تشك بأي شيء!

لكن هذا هوالهدف. أليس كذلك؟ اعترفت وهي تفكر، ما الغاية من الحماية بحذر ودراية إن علم بذلك كل شخص؟

- هذا أمر...

توقفت عن الكلام، لتتنفس بعمق وتهدئ أعصابها، لكنها لم تتمكن من كبح غضبها، بسبب الصدمة التي شعرت بها، فقالت: «لم تكن لدي أي فكرة عن ذلك. لماذا لا تخبرني؟».

توقع أليخاندرو سؤالها، فهو يعلم أن بروني لن تبقى صامتة على أمر كهذا لفترة طويلة. قال: «لم يكن هناك من حاجة لتعرفي بذلك».

ردت عليه بغضب صارخ: «آه! كان من الممكن أن يتعرض ميشيل لخطر داهم في أي وقت خلال الأسابيع القليلة الماضية، وأنت لا

تعتقد أنني بحاجة إلى معرفة ذلك؟».

رمت منديل الطعام على الطاولة، قبل أن تقف وتسير المسافة الطويلة للطاولة، لتقف قربه وتتابع: «أيها المتكبر!».

رفع أليخاندرو كتفيه بدون اكتراث، وحدق بها بعينين لا تعبران عن أي شيء يفكر به. قال: «كنت أحمي ما هو لي».

ومن دون أن يخبرها أن هناك حاجة ملحة لتلك الحماية.

كم تكره هذا الرجل!

٤ - من أجل ميغيل!

- هل ترغبين في الذهاب وميغيل في نزهة بالسيارة الى ديا معي؟

رفعت بروني نظرها عن المجلة التي كانت تنظر إليها، في حين انصرف ميشيل إلى اللعب والمرح في البركة من جديد. كانت عيناها مخبأتين وراء نظارتين شمسيتين سوداوين، وهي تنظر إلى أليخاندرو.

لولا ذلك لعلم أليخاندرو، بدون أي شك، أن غضبها منه لم يخفت منذ أن واجهته، وخرجت كالعاصفة من غرفة الطعام مساء البارحة! إنه غضب ستتمسك به، فهو إحساس أكثر أماناً من الإحساس الدائم بالانجذاب إليه. اليوم يرتدي أليخاندرو ثياباً عادية، هي عبارة عن سروال أسود وقميص رمادية اللون، تعكس تماماً سمرة بشرته.

حركت بروني شفتيها باستياء قائلةً: «وماذا هناك في ديا؟».

اعترف باستياء: «ليس هناك الكثير، لكن فيما أعقد اجتماع عمل، بإمكانك أنت وميغيل التجول في القرية. بعدئذ يمكننا تناول الغداء معاً».

نظرت بروني إليه بشك، وسألته: «وما الغاية من ذلك؟».

بدأ أليخاندرو يشعر بالندم لأنه أقدم على دعوتها. أجاب بغضب: «ليس هناك أي غاية. فكرت بطلبك البارحة لرؤية المنطقة».

www.elromancia.com

سألته بسخرية: «وكما أفترض، سيصطحبنا حراس مسلحون، يضعون نظارات سوداء، ويظهرون بعيدين جداً عن المألوف؟».

كور شفتيه، وأجاب بانزعاج: «ليسوا مسلحين».

قالت باستياء: «لكن سيخفون عيونهم بنظارات سوداء، ويبدون مختلفين عن الجميع!».

وضعت قدميها على الأرض، ونهضت، فلاحظ أليخاندرو أنها ترتدي ثوب سباحة أسود اللون، يناسب لون بشرتها الذهبية، التي تكتسبها بسرعة. رمقها بنظرة عتاب، وقال لها: «أنت تتصرفين بشكل طفولي مبالغ فيه تجاه هذا الموضوع».

قالت بروني تتحداه: «أحقاً؟ حسناً، أنا آسفة! ربما ما تقوله صحيح، لأن هذه هي المرة الأولى التي يرافقني فيها حراس إلى أي مكان أذهب إليه، ولا يهم إن كانوا مسلحين أم لا!».

هي تعلم أن أليخاندرو يرى هذا أمراً ضرورياً للحفاظ على سلامة ميشيل، لكنها لا توافق على هذا الأسلوب في الحماية.

أدرك أليخاندرو بعد نقاشهما القصير بهذا الموضوع ليلة البارحة، أنه حاول أن يتسامح معها، فهولا يرغب في أن يواجه هذه المرأة في كل أمر.

قال بخشونة: «أقترح عليك أن تعتادي على ذلك، طوال مدة إقامتك هنا».

اعترفت بروني أنها تجادل لأجل الشجار فقط، فهي لا زالت غاضبة من فكرة أن ميشيل سيحتاج إلى حماية دائمة ومراقبة في أي مكان يذهب إليه، لكنها في الوقت نفسه شعرت أن من الأفضل أن يتصرف أليخاندرو بحرص على ألاّ يهتم بسلامة ميشيل. أما هي فلا رغبة لديها في أن تعتاد على البقاء تحت الحراسة المشددة. رمت أليخاندرو سانتياغو بنظرة كره أخيرة، قبل أن تستدير لتنظر إلى ميشيل

الذي كان يسبح باتجاه الحافة، ويتمسك بها. قالت برقة: «يدعونا والدك للذهاب معه في نزهة بالسيارة إلى مكان يدعى ديا».

لا رغبة لديها في جعل ميشيل جزءاً من التوتر السائد، الذي يحيط بها وبوالده في كل مرة يلتقيان فيها. في النهاية، هي هنا لتوطد العلاقة بينهما، لا لتجعل الوضع أسوأ مما هو عليه في الواقع.

لم يبدُ أن ميشيل يعاني من مشكلة التأقلم، فليلة البارحة كانت الليلة الأولى التي لا يستيقظ فيها باكياً على جوانا وطوم. أما ليلتها فلم تكن هادئة على الإطلاق. جلست على شرفة غرفة نومها محاولة أن تهدأ بعد الشجار الذي تم بينها وبين أليخاندرو، فرأته يغادر الفيلا، ويسير نحو المرآب. قاد سيارة رياضية سريعة، وانطلق إلى الشارع. بعد دقائق قليلة، اختفت الأضواء الحمراء الخلفية للسيارة، ما إن زاد سرعته وهو يجتاز الطريق.

اعتقدت بروني أن الساعة العاشرة مساء هي وقت غريب للخروج! ربما يفسر ذلك سبب ارتدائه ثياباً رسمية للعشاء معها. ربما لم يفعل ذلك احتراماً لها، بل لأن لديه موعداً آخر بعد ذلك العشاء!

أثناء الدعوى القضائية بينهما علمت أن أليخاندرو لا زوجة لديه ولا خطيبة، لكن هذا لا يعني أن ليس هناك امرأة ما في حياته. بالطبع! هذا أمر لا يعنيها. قالت ذلك لنفسها بحزم. لا يهمها ما الذي افترضه أليخاندرو، لكنها ترغب في الاستمرار بكونها جزءاً من حياة ميشيل، حتى بعد انتهاء هذا الشهر، في الوقت نفسه تقبلت أن لا حق قانوني أو أخلاقي لديها لتعترض على من سيختارها يوماً أليخاندرو لتكون زوجة أب لميشيل.

سألت ميشيل بمرح: «ما رأيك بالأمر؟».

- رائع!

ابتسم الصبي لها، وبسهولة رفع نفسه ليخرج من الماء، ثم أمسك

بمنشفة، وأسرع نحوالفيلا ليرتدي ثيابه.

حبست بروني أنفاسها وهي تراقبه. لاحظت أن الشمس تزيد سمرة بشرته، لتصبح شبيهة بسمرة والده الطبيعي، كما أن ميشيل يزداد شبهاً باليخاندرو سانتياغو مع كل ساعة تمر.

قالت بمرارة وهي توجه كلامها إلى أليخاندرو: «أعتقد أن ذلك يعني نعم. سنبدل ثيابنا، ونسرع إلى ملاقاتك هنا».

استدارت لترفع كتابها والمجلة، وهي تفكر في الذهاب إلى ميشيل قبل أن تذهب إلى غرفتها.

سألها أليخاندرو بلطف: «نسيت أن أسألك مساء البارحة، هل كان والداك بخير عندما تحدثت إليهما؟».

وقفت بروني بشكل مستقيم، وعلا التوتر ملامح وجهها. قالت: «هما تماماً كما أتوقع أن يكونا في مثل هذه الظروف».

بالطبع! بإمكان أليخاندرو أن يتخيل خيبة أمل والديه إن حدث مكروه له أو لأخيه، أو خيبة أمله لو حدث أي سوء لميغيل. أمضى ساعات قليلة برفقة الصبي الصغير، لكنه علم خلالها أنه قوي ومستقل، وأن طبيعته المرحة تخفف من خسارته لأمه وزوجها، كما أن ليس هناك أي أثر للدلال المزعج الذي يتصف به معظم الأطفال في مثل عمره. أدرك أن ميغيل يمتاز بذات الصفات التي كان يتحلى بها هو نفسه عندما كان في السادسة من عمره، وهو يشعر بالفخر به منذ الآن. مع أن بروني سوليفان تعتقد بدون أي شك أنه بارد ولا يملك قلباً حنوناً.

قال أليخاندرو بتعاطف: «لا بد أن ما حدث صعب جداً عليهما».

وافقته بروني قائلة: «أجل! أخذ ميشيل مساء البارحة لتوديعهما قبل أن يسافر، كان أمراً بمنتهى العذاب».

علم أليخاندرو أن ما يحدث بعيد عن الوضع المثالي أو حتى

السوي، وأن اكتشاف ميغيل له عواقب صعبة جداً، لا سيما على من اعتبرا نفسيهما جده وجدته. لكن ليس هناك من حل سهل لهذه المعضلة التي وجد نفسه فيها.

قالت له بروني باقتضاب: «لن نتأخر».

رفع أليخاندرو كتفيه، وقال: «لست على عجلة من أمري في الواقع».

راقبها وهي تسير نحو المنزل، قبل أن يجلس بتعب على أحد المقاعد الطويلة لينتظرهما. ألقى رأسه على الوسادة، وأغمض عينيه مفكراً. كانت أنطونيا مزعجة بشكل متعمد ليلة البارحة، لدرجة أنه عمل في النهاية على الاعتذار والمغادرة في وقت أبكر مما كان يرغب.

لاشك أن الوقت الذي أجبر على تمضيته في إنكلترا طول الأسابيع الستة الماضية أبعده عن المغرب، لكن أنطونيا شعرت أنه كان صعباً جداً عليها. هذا ما أوضحته له ليلة البارحة. حتى جمالها الطاغي لم يعوض عن الإحساس بالتملك الذي أصبحت تمارسه عليه في كل مرة يلتقيان. إحساس لا يحق لها أبداً أن تشعر به. لماذا تصبح النساء متسلطات على هذا النحو؟

حسناً! نساء مثل المدللة أنطونيا والمخادعة فرانسيسكا. اعترف بذلك بحزن، فهو بطريقة ما، لا يستطيع أن يتخيل أن بروني سوليفان تلجأ إلى الدموع أو التصرف بشكل هستيري لتحصل على ما تريده. إنه يكاد يشعر بحدة لسانها لو.... أوقف نفسه عن التفكير بذلك على الفور.

ما خطبه ليفكر ببروني بهذه الطريقة؟

إن الفرص بينهما لإقامة علاقة غرامية -وهذا كل ما يستطيع تقديمه لأي امرأة- معدومة بشكل مطلق. كان لديه الكثير من العلاقات

الغرامية منذ وفاة فرانسيسكا، أي منذ خمس سنوات، وكلها علاقات قصيرة لم تتمكن واحدة منها أن تؤثر على التحفظ الدائم الذي اختاره بعد زواجه المأساوي.

هزّ أليخاندرو رأسه باستياء، فهو يعلم أن بروني هي المرأة الوحيدة التي لا يحتاج لأن يشعر بالخوف من التعلق بها، فهي عاطفية جداً. منذ الفشل الذريع لزواجه، وطوال السنوات الخمس الماضية، أصبحت العاطفة الأمر الوحيد الذي يتجنبه كالطاعون. بالإضافة إلى أنهما يكرهان بعضهما بشكل واضح جداً!

رجعت بروني إلى الخارج برفقة ميشيل بعد عدة دقائق. توقفت بعيداً ما إن لاحظت أن أليخاندرو مستلق بارتياح على المقعد الطويل. بدا وجهه أكثر شباباً ووسامة، لا سيما أنه لا ينظر إليها بتلك العينين القاسيتين، اللتين تلمعان كالفضة الرمادية. شعرت بالدهشة من جديد ما إن لاحظت كم أن جاذبيته طاغية. فقط... لو أنها لا تكرهه بهذه القوة!

بدا متعباً قليلاً، وبعد أن شاهدت تجواله الليلي بنفسها، فهي ليست بحاجة لتبحث عن السبب. صحيح أنه ليس لديه زوجة أو خطيبة، لكن بعد اختفائه مساء البارحة، لا شك أن لديه علاقة ما، ولا شك أيضاً أن وجودها وميشيل هنا لم يشكل أي فرق في استمرارية تلك العلاقة.

قالت بنبرة حادة: «اعتقدت أننا سنذهب في نزهة».

تنفس أليخاندرو بهدوء وعمق، قبل أن يرفع رأسه. أمر واحد هو متأكد منه: لا يمكن مطلقاً الحصول على الراحة برفقة هذه المرأة! لاحظ أنها ترتدي قميصاً خضراء، تظهر جمال صدرها وكتفيها، مع سروال أبيض قصير يظهر رشاقة جسمها. قال بحزم، وهو يقف: «هذا ما سنفعله».

ترك بروني تلحق به، بينما سار نحو المرآب برفقة ميغيل.

انزعج من نفسه لأنه لاحظ جمالها، مع أنه يتحدى أي رجل ألا يفعل ذلك!

قاد أليخاندرو السيارة بنفسه إلى ديا، وعلم من ابتسامة ميغيل الجالس في المقعد الخلفي في سيارة المرسيدس، أنه يستمتع بالنزهة، لا سيما أن أليخاندرو كشف سطح السيارة، فراح الهواء يعبث بشعره الأسود. لكن من الصعب عليه أن يدرك ردة فعل بروني أمام تلك المناظر الرائعة التي يمرون بها، فهي تخفي عينيها وراء نظارتين شمسيتين، أما ملامح وجهها فغير مقروءة. لا شك أن أفكارها تجول حول انتقاد جديد توجهه إليه. يبدو أن لا شيء مما يفعله، يجد استحساناً لديها، فكل كلمة ينطق بها، وكل فعل يقوم به، تقابله بالاستياء وعدم الثقة، وهذه ردة فعل لم يصادفها من قبل مع أي امرأة.

منذ أن بلغ أليخاندرو السادسة عشرة من عمره، مكّنته وسامته الواضحة أن يختار من يشاء من النساء، وعندما زاد بلوغاً، تضاعفت قدراته وجاذبيته، بالإضافة إلى كونه مستثمراً فاحش الثراء. فالسلطة والمال يشكلان جاذبية لا تقاوم بالنسبة لمعظم النساء. لكن يبدو أن بروني سوليفان تكرهه بسبب تلك الصفات.

سألها محاولاً أن ينشر جواً من الألفة بينهما: «ما رأيك في المكان حتى الآن؟».

أجابت بتكلف: «جميل جداً».

تابع بنبرة لا تخلو من الانزعاج: «يعيش عدد من الفنانين في ديا. بعضهم جيد والبعض الآخر ليسوا كذلك. أنا متأكد أنك ستستمتعين بزيارة المعارض هناك».

قالت وهي ترفع كتفيها: «ربما!».

سألته باستياء: «هل وضعت الحراس في صندوق السيارة؟».

أظلم وجه أليخاندرو من تحديها المتعمد. إنه يحاول أن يكون لطيفاً معها، فلماذا لا تحاول هذه المرأة على الأقل ملاقاته على منتصف الطريق؟

تمتم بنعومة: «راوول ورافايل في السيارة الخلفية».

نظرت بروني إلى المرآة الجانبية لسيارة المرسيدس، فلمحت السيارة السوداء التي تسير على بعد ثلاثين متراً وراءهم. علقت بنبرة لاذعة: «يا للروعة! ربما يمكننا شرب القهوة معاً ما إن نصبح في ديا».

- لماذا هذا الإصرار...

توقف أليخاندرو عن متابعة ملاحظته الغاضبة. زمّ شفتيه بعدم رضا، ما إن رأى صورة ميغيل في المرآة الأمامية. تمتم بصوت بالكاد سمعته بروني: «لا أطيق الانتظار حتى نصل إلى هناك».

لاحظ أن ابتسامتها الساخرة هي الجواب الوحيد عما قاله.

لم يعد مستغرباً أن يمضيا ما تبقى من الرحلة صامتين، مع أن كل منهما تحدث إلى ميشيل، الذي راح يطرح الكثير من الأسئلة حول المكان الذي يتعرف عليه للمرة الأولى. فكرت بروني بحزن، لحسن الحظ أن ميشيل معهما، مع أنها بدونه ما كانت لتلتقي بالوسيم المثير للغضب أليخاندرو سانتياغو. في الحقيقة، ليس هناك الكثير من أصحاب الملايين الإسبانيين الذين يتجولون في طرقات كمبريدج.

تعرفت بروني على الكثير من الشبان خلال سنواتها الجامعية، وعلى زملاء في العمل بعد ذلك، وكلهم بدون استثناء لطفاء. رجال ظرفاء استمتعت بتمضية أوقات مرحة معهم. في الأسابيع الستة العاصفة التي تعرفت فيها على أليخاندرو سانتياغو، علمت أنه ليس لطيفاً أو ظريفاً على الإطلاق. أما رفقته... كيف يمكنها أن تشعر

بالراحة، في حين أن مجرد الجلوس بقربه كما يحدث الآن، يجعلها تشعر بحرارة لم تعرفها يوماً؟

أعلن أليخاندرو بنبرة ملؤها الارتياح: «أخيراً وصلنا إلى ديا».

أوقف السيارة خارج أحد أشهر الفنادق في القرية، إذ قرر تناول الغداء هنا مع ميغيل وبروني ما إن ينتهي موعد العمل، مع أنه يشك أن تتأثر بروني بالبذخ والرفاهية الزائدة للفندق. يبدو أنها لا تهتم لأي أمر تؤمنه الرفاهية أو أي شيء يستطيع المال أن يشتريه.

قال لها ما إن استدار ليفتح لها باب السيارة، ثم يحني المقعد ليتمكن ميغيل من الخروج: «سأحجز طاولة لتناول الطعام هنا عند الساعة الواحدة».

هزت رأسها، وهي ترفع نظرها إليه: «أنا متأكدة أن راوول ورافايل سيعملان على تأمين الحماية لنا، كي لا نضيع».

ابتسمت بسخرية وهي تنظر نحو الرجلين اللذين خرجا من السيارة السوداء، بعد أن أوقفاها على بعد مسافة قصيرة منهم.

سيطر أليخاندرو على غضبه المتفاقم بجهد شديد، فأمامه لقاء هام جداً، يتطلب منه الدقة في التفاوض، وهذا ما دفعه للقدوم إلى هنا. السماح لهذه المواجهة الدائمة مع بروني سوليفان أن تخرب تلك المفاوضات بذهابه إلى الموعد غاضباً وعديم الصبر ليس بالخيار الجيد.

قال بضيق: «أنا متأكد أن هذا ما سيفعلانه».

أضاف وهو يضع يده على كتف ابنه، وقد رقت ملامح وجهه وهو ينظر إليه: «اعتنِ بعمتك، ميغيل!».

ابتسم ميغيل له، وقال: «عمتي برو هي من تهتم بي».

هزّ أليخاندرو رأسه بتفهم، وشرح له بهدوء: «في إسبانيا الرجل هو من يهتم بالمرأة».

هز ميغيل رأسه متفهماً وهو يقول: «آه، حسناً!».

قطبت بروني حاجبيها باستياء. مازال ميشيل في السادسة من عمره، حباً بالله!

أعلن أليخاندرو، وهوينظر اليها: «من الأفضل لميغيل أن يتعلم العادات الإسبانية».

رفعت ذقنها كي تتمكن من النظر مباشرة إلى عينيه الرماديتين الباردتين، وقالت: «أنا متأكدة أن هناك الكثير من الأمور لنتعلمها جميعاً من ثقافات بعضنا البعض».

علمت من خلال نظرة عينيه الثاقبة أن نبرتها الهادئة لم تخف المعنى المزدوج الذي حمله جوابها.

رفع كتفيه بلا مبالاة، وقال: «ستحتاج إلى بعض المال».

قاطعته بروني بنبرة حادة، ما إن مدّ أليخاندرو يده إلى جيب سرواله: «لدي مالي الخاص. شكراً لك!».

رفع حاجبيه السوداوين قائلاً: «كنت أتحدث مع ميغيل».

أكدت له، وهي بالكاد تسيطر على غضبها: «لدي ما يكفي لميشيل، أيضاً».

إنها معلمة مدرسة متواضعة، لكن هذا لا يعني أنها ستتقبل المال من هذا الرجل، حتى من أجل ميشيل. أضافت بنعومة متكلفة: «من فضلك! لا تدعنا نؤخرك أكثر على موعدك».

استمر أليخاندرو بالنظر إليها بنفاد صبر لمدة دقائق، قبل أن يهز رأسه بانزعاج، ويقول: «الساعة الواحدة إذاً».

ثم استدار، ورحل.

صممت بروني أن تنسى كل ما يتعلق بأليخاندرو سانتياغو وتفاخره البغيض خلال الساعات القليلة القادمة. تجولت برفقة ميشيل في القرية الجميلة. بدا الناس لطفاء جداً، فالرجال والنساء ابتسموا لهما

وراحوا يتحدثون مع ميشيل في المتاجر والمقهى، الذي توقفا فيه لتناول شراب بارد.

الحمد لله أنها لم تصادف راوول ورافايل، مع أن الرجلين بقيا في الخارج بانتظارهما. هذا ما لاحظته ما إن خرجت من المقهى بعد مرور نصف ساعة.

لحسن الحظ، أن ميشيل لم يلاحظ وجودهما، لأنه أمسك يدها، وأخذ يقفز قربها بسعادة، وهما يسيران نحو الفندق أثناء عودتهما.

- أليخا... والدي لطيف. ألا تعتقدين ذلك، عمتي برو؟

رفع الصبي نظره إليها، وقد بدا القلق على وجهه، وهما يصعدان الدرج إلى الفندق.

«لطيف»هي آخر كلمة يمكن أن تطلق على أليخاندرو سانتياغو، لكن سؤال ميشيل يظهر أنه يلاحظ العداوة بينها وبين والده. ذلك لا يفاجئها، فالكره والشجار يحدثان في كل مرة يجتمعان فيها، وهذا أمر سيء لميشيل، لأن ولاءه سينقسم إلى اتجاهين متعارضين جراء ذلك.

قالت له بحماس واضعة ابتسامة على وجهها: «إنه لطيف جداً».

سأل ميشيل مفكراً: «هل أمي وأبي كانا ليحبانه، برأيك؟».

ظهر الألم على وجه بروني. لاشك أن جوانا أعجبت بأليخاندرو سانتياغو منذ سبع سنوات، لكن من يعرف إن كانت ستبقى معجبة به لو أنها حية اليوم؟ أما بالنسبة إلى طوم، فلا فكرة لديها عن ردة فعله بالنسبة إلى هذا الرجل المتكبر المتفاخر، الذي هو الأب الحقيقي لميشيل.

لكن ليس هذا هو الجواب الذي تستطيع قوله لميشيل، فمستقبل الطفل الصغير مع أليخاندرو، سواء أعجبها ذلك أم لا. حبها الكبير لميشيل يدفعها لجعل هذا التغيير في حياته سهلاً بقدر الإمكان.

لو أنها فقط لا تجد أليخاندرو جذابا بشكل لا يقاوم.

قالت له بحنان وهي تضغط على يده: «أنا متأكدة أنهما كانا ليحبانه حقاً!».

تمنت أن يقدّر أليخاندرو المجهود الذي تبذله من أجل مصلحته. تنهد ميشيل بارتياح، وقال: «هذا خبر رائع!».

من الواضح أن ميشيل بدأ يعتاد على فكرة أن أليخاندرو والده، وهذا أمر جيد بالفعل، حتى لو كانت بروني لا تشاركه هذا الحماس!

أصبحت أكثر انزعاجاً وغضباً، عندما وصلا إلى الباب الخارجي للمطعم. وجدت أن أليخاندرو لا يجلس وحيداً إلى الطاولة التي توجها إليها. بدلاً من ذلك، كانت هناك امرأة ذات جمال صارخ تجلس قربه. شعرها الأسود طويل وكثيف، أما بشرتها فسمراء تماماً كبشرته، وملامحها الجميلة تظهر بوضوح بسبب عينيها السوداوين الكبيرتين وفمها المكتنز المطلي بأحمر شفاه ذي لون صارخ.

٥ - شجار ثم عناق!

ضغط أليخاندرو على شفتيه قليلاً، ما إن رأى ميغيل وبروني يقتربان من الطاولة، التي يجلس إليها مع أنطونيا. لم يتوقع أن تكون أنطونيا هنا مع والدها اليوم. شعر بالضيق من هذا الحضور غير المتوقع، الذي بدل الاجتماع من لقاء هام للتحدث بالأعمال إلى مناسبة اجتماعية أخرى.

أتراه أمراً متعمداً من قبل فليبي روج، أم أنه وليد الصدفة؟

بدا من السهل جداً التملق لأنطونيا ابنة الأرمل فليبي روج، فتلك وسيلة جيدة للتأثير في الرجل العجوز. لكن من خلال الطريقة الفعالة التي تتبعها أنطونيا في التودد إليه، أدرك أن فليبي سيطلب سعراً يفوق السعر الواقعي للأرض التي يريد بيعها، وهو مبلغ لن يتمكن أليخاندرو من دفعه. هذا لا يعني أن أنطونيا ليست جميلة، فهي تملك جسداً رائعاً، ولا بد أنها ستكون زوجة رائعة للرجل المحظوظ الذي سيتزوج بها، لكنه لن يكون أليخاندرو.

هو وفرانسيسكا تزوجا لأسباب خاطئة تماماً، وزواجهما كان مؤلماً، بل كان كارثياً، وهو لا يرغب أبداً في تكرار تلك الغلطة.

إنها مشكلة لم يحظَ أليخاندرو مطلقاً بفرصة للتفكير بها. تعمدت أنطونيا البقاء معه بعد أن غادر والدها، لكنه تجنب دعوتها إلى الغداء

www.elromancia.com

معه. أما الآن، وبعد وصول بروني وميغيل إلى المطعم، ربما لم يعد لديه أي خيار آخر. وقف ما إن وصلت بروني إلى الطاولة. بدت ابتسامته باهتة، وهو ينظر إلى ابنه، ويسأله بتهذيب: «هل أمضيتما صباحاً سعيداً؟».

أجاب ابنه بفرح: «آه! أمضينا وقتاً رائعاً. ذهبنا إلى كل المتاجر، ثم إلى مقهى حيث قدم لي رجل البسكويت مع العصير. جلسنا على الشرفة، وراقبنا الناس يملأون أوعية كبيرة بالماء من جدول ينساب من الجبال، و...».

- مهلاً، ميغيل! تكلم ببطء.

ضحك أليخاندرو، وهو يوقف ابنه عن التحدث بسرعة، لكنه بقي مدركاً لنظرات بروني، وهي تحدق به متسائلة بعينيها الزرقاوين الكبيرتين، ثم ترمق أنطونيا بنظرة خاطفة قبل أن تتابع التحديق به. وضع يده على كتف ميشيل، وهو يديره لينظر إلى المرأة الجالسة إلى الطاولة، ويقول: «ميغيل! أحب أن تتعرف على صديقة لي، أنطونيا روج. أنطونيا! هذا...».

أنهت أنطونيا كلامه، وهي تقف وتلوي شفتيها مبتسمة: «ابنك! بالطبع هو كذلك، فهو يشبهك تماماً أليخاندور».

أشرق وجهها، وهي تنظر إليه بشغف واهتمام.

راقبت بروني تبادل النظرات بذعر وخوف شديدين. الطفل الصغير بالكاد يتأقلم مع معرفته بأن أليخاندرو هو والده، ، فهل يمكن لهذا الإسباني المتكبر أن يعرفه على زوجة أبيه بمثل هذه السرعة؟

لاحظت بروني أن أنطونيا روج جميلة جداً، لكن شيئاً ما في عيني المرأة يلمّح إلى البرودة وفقدان الحنان، وهذا يعني بالنسبة إلى بروني، أن هذه المرأة تفكر أن المدرسة الداخلية هي المكان الأنسب لأي طفل ليس منها.

من الواضح أن جمال أنطونيا، يمنع أليخاندرو من ملاحظة البرودة في عينيها. ضاقت نظرة عيني أنطونيا البنيتين وهي تحدق ببروني. قالت: «كم أنت شديد الدراية أليخاندرو، بإحضارك مربية ميغيل أيضاً».

ابتسمت لبروني ابتسامة مقتضبة، قبل أن تستدير، وتتابع كلامها: «أليخاندرو! لم لا...؟».

علق ميشيل، وهو يضحك: «آه! لكن بروني ليست مربيتي».

لم يكن الصبي مدركاً للتوتر السائد بين الراشدين. أضاف بسعادة: «إنها عمتي... عمتي برو!».

أجل! عينان قاسيتان بالفعل. هذا ما فكرت به بروني، ما إن أدارت المرأة الأخرى عينيها البنيتين نحوها. رمقتها أنطونيا بنظرة تقييمية من أعلى رأسها المغطى بشعرها الأحمر حتى حذائها الخفيف الصيفي، قبل أن تنظر إلى وجه بروني الخالي من مساحيق الزينة والمغطى بنمش خفيف.

أخيراً تمتمت: «عمتك!؟».

أعادت نظرها إلى أليخاندرو، ورفعت حاجبيها متسائلة: «أهي العمة التي...؟».

من الواضح أن أليخاندرو لم يحظَ بالفرصة بعد ليخبر هذه المرأة، أنه أحضر معه عمة ميشيل المثيرة للمشاكل إلى هنا أيضاً.

قالت بروني بسعادة، وهي تمد يدها لتصافحها: «إنها هي، العمة بروني سوليفان. هل ستنضمين إلينا لتناول الغداء، آنسة روج؟».

بالكاد لامست يد أنطونيا بأصابعها المطلية الأظافر بلون أحمر يد بروني. تكور فم المرأة الأحمر قليلاً، وهي تقول: «كنت لأفعل ذلك، لكن لسوء الحظ لدي موعد آخر في بالما بعد ظهر اليوم».

أدارت وجهها نحو أليخاندرو، وتابعت: «لا تنسَ أنك مدعو إلى

العشاء هذا المساء، أليخاندرو!».

آه، يا إلهي! فكرت بروني وهي تجلس على المقعد الذي أخلته المرأة الأخرى. مسكين أليخاندرو! عليه أن يقدم الكثير من الشرح في وقت لاحق.

قال أليخاندرو مؤكداً باختصار: «بالطبع، لن أنسى».

اعتقدت بروني أنه فقد صبره، وهو يعانق المرأة عناقاً سريعاً قبل أن تغادر. علقت باستياء، ما إن غادرت أنطونيا: «من المؤسف أن الآنسة روج لم تتمكن من البقاء معنا».

استدار أليخاندرو متوقفاً عن مراقبة رحيل أنطونيا المفاجئ، ثم قطب جبينه وهو يحدق برأس بروني المنحني، وهي تتمعن في قراءة لائحة الطعام بشكل متعمد. قال بضيق، وهو يعود إلى مقعده: «أجل! أمر مؤسف حقاً».

علم من اتساع عيني بروني وهي تنظر إليه ببراءة، أنها حقاً تستمتع بوقتها، لأنها بدون أي شك تشعر بانزعاجه. لكن ماذا كان بإمكانه أن يفعل غير ذلك؟ هل يضغط على أنطونيا لتنضم إليهم؟ مع وجود بروني ومزاجها المولع بإثارة المشاكل، لا بد أن النتيجة ستكون أكثر إحراجاً. هذا ما هو متأكد منه. لقد قام بالأمر الصحيح، فلديه الكثير من الوقت ليشرح الأمر لأنطونيا في وقت لاحق الليلة.

- يبدوأن الطعام هنا شهي. ما الذي طلبته؟

سألت بروني وهي تغلق لائحة الطعام، وترفع نظرها لتحدق به متسائلة، والمكر ما زال يرقص في تلك العينين الزرقاوين الغامقتين.

إنها لا تبدو أكبر بكثير من ميغيل مع هذه التعابير البريئة، فوجهها خال من أي مساحيق للزينة، وشعرها معقود إلى الوراء بربطة خضراء تماثل لون قميصها.

وجدت بروني نفسها تستمتع بتناول الغداء.

أمضت وأليخاندرو معظم الوقت يتجاهلان بعضهما، وهذا أمر جيد لعملية الهضم في ما يتعلق بها! كما أن ميشيل بدأ يرتاح لوجود والده قربه، أما الطعام فهوأكثر من ممتاز، والشراب الذي طلبه أليخاندرو وافق طعامهم جيداً، كذلك المناظر التي تحيط بهم، حيث يجلسون على شرفة عالية تشرف على الوادي المطل على البحر.

في الواقع، في الوقت الذي غادروا فيه للعودة إلى الفيلا، وجدت بروني نفسها تشعر بارتياح لم تشعر بمثله منذ أن وصلت إلى المغرب.

فرح ميشيل بالعودة إلى بركة السباحة بعد الظهر، تاركاً لبروني الوقت كي تستلقي على أحد المقاعد الطويلة، تتأمل مزايا الراحة التي تتمتع بها الآن. بإمكانها أن تنام هنا بسعادة لمدة ساعة أو أكثر بعد ذلك الغداء الشهي. مع أن حضور أليخاندرو على المقعد المجاور لمقعدها، يؤكد لها أنها لن تقدر على الاسترخاء بما فيه الكفاية، لتستسلم للنوم!

قالت تحدثه ما إن جلست لتضع المستحضر الواقي من أشعة الشمس على ذراعيها وساقيها: «إذاً أنت ذاهب لتمضية السهرة في الخارج هذا المساء أيضاً».

- أيضاً؟!

كرر أليخاندرو كلمتها بنعومة، وهو يستدير، ليراقب حركة يديها. بدت أصابعها طويلة ورشيقة وهي تمرر الزيت على كتفيها وعنقها.

لم تنظر بروني إليه بل تابعت ما تقوم به. رفعت كتفيها وهي تجيب: «رأيتك تغادر مساء البارحة».

لكن من الواضح أنها لم تره، أو تسمعه، يعود ثانية بعد أقل من ساعتين. رحيله كان كافياً كما يبدو ليجعلها تصل إلى استنتاجات خاطئة عنه، كما أن لقاءها اليوم بأنطونيا سيؤكد لها تلك

الاستنتاجات. مع أنه لا يعلم لماذا تعتقد هذه المرأة أن لديها أي حق لتعلق على ما يفعله في حياته الشخصية.

وجد أليخاندرو انتباهه مثبتاً على بروني، وهي تضع الزيت على معدتها. إنها تملك معدة مسطحة تماماً، مع بشرة ناعمة وبيضاء كالقشدة، كما أنه قادر على ملاحظة جمال جسدها...

آه! ما الذي يفعله بحق السماء؟ هذه المرأة هي عمة ميغيل، العمة المزعجة التي حصل عليها من خلال زواج أمه بأخيها، وليس على أليخاندرو أن يشعر بأي انجذاب نحوها، مهما كانت جميلة.

زفر بسرعة، وسألها: «ألديك تعليق ترغبين في قوله بشأن موعدي الليلة؟».

علم أن هذا الضيق الذي يشعر به، موجه نحو ذاته أكثر مما هو موجه إلى بروني. إنها شوكة دائمة على جنبه. مصدر إزعاج لا يستطيع الانتظار ليتخلص منه، لذا ما همّه إن كانت تملك جسداً جميلاً رشيقاً، وأن بشرتها تبدو ناعمة كالحرير؟

بدت بروني متفاجئة من سؤاله، فقالت راغبة في الانتهاء من الحديث معه: «لا! على الإطلاق. كنت فقط أجري حديثاً معك، أليخاندرو».

هذا غير صحيح أبداً! لكنه غير متورط مع أنطونيا بالطريقة التي تظنها بروني، فأليخاندرو لم يمزج يوماً الأعمال بهذا النوع من العلاقات الغرامية. مع أن الاحساس بالتملك الذي تمارسه أنطونيا عليه يزعجه، فهو لم يكن حذراً معها كعادته في علاقاته مع النساء، وذلك لانشغاله بالحصول على الوصاية على ميغيل. أنطونيا ووالدها ربما يتوقعان أمراً آخر يفوق الاهتمام الذي يظهره أليخاندرو.

أما هو، فلا رغبة لديه مطلقاً في خوض تلك المعاناة المؤلمة من خلال الزواج ثانية. والآن بعد أن أصبح لديه وريث، لا حاجة لديه

للقيام بذلك مطلقاً. لكن ما زالت هناك مشكلة ألا وهي مراوغة فليبي روج.

وقف بسرعة، وهو يقول: «هناك بعض الاتصالات التي يجدر بي القيام بها».

- يا إلهي! أي رجل عملي أنت، أليخاندرو؟

رفعت بروني نظرها إليه بسخرية، وهي تريح ذقنها على ركبتها.

نظر إليها أليخاندرو ببرودة واضحة، ثم قال: «لدي ارتباطات عمل كثيرة».

رفعت حاجبيها، وعلقت: «لا بد أن العمل يسعدك عندما يكون متعلقاً بامرأة جميلة مثل أنطونيا روج».

ضغط أليخاندرو على أسنانه، قبل أن يجيب: «لا أعتقد أن هذا الأمر يعنيك، لكن علاقتي بأنطونيا هي علاقة عمل مع والدها، فليبي».

قالت بروني بنبرة ساخرة: «أحقاً؟ ليس هذا هو الانطباع الذي شعرت به».

- لا أهتم إن...

توقف عن متابعة جوابه الغاضب. تنفس بعمق، ونظر إليها من تحت أنفه المتغطرس متابعاً: «أنت حقاً لا تملكين الحق بالتحدث إلي بهذه الطريقة، بروني».

قالت تتحداه: «لكنكما ستتناولان العشاء معاً هذا المساء».

هي غير مستعدة لتعذره بهذه السهولة. إن كان يفكر في جعل أنطونيا زوجته، وبالتالي زوجة أب ميشيل، عندها ستعتبر هذا الأمر شغلها الشاغل.

قال أليخاندرو بضيق ونفاد صبر: «أنا أحد الضيوف المدعوين إلى العشاء في منزل والد أنطونيا».

تمتمت وهي تفكر: «أحقاً؟».

استمتعت برؤية هذا الرجل المسيطر دائماً على انفعالاته قلقاً، فهذا أمر مشجع كتغيير بالنسبة له.

قطب أليخاندرو جبينه، وقال بغضب: «أنت فعلاً أكثر النساء إزعاجاً».

ابتسمت بروني قائلة: «سأعتبر ما قلته مديحاً».

- ما كنت لأشعر بذلك لو أنني مكانك.

تابع فيما بدت نبرة صوته أكثر قوة، كأنه يعبر بذلك عن انزعاجه الواضح: «حتى الآن لم أجد التواجد معك تجربة مريحة».

تحولت ابتسامتها إلى ضحكة قبل أن تقول: «أعتقد أن هذا ألطف كلام قلته لي يوماً أليخاندرو».

إنها مثيرة للغضب! اعترف أليخاندرو بذلك، فهي توتر الأعصاب، ولها قدرة على قول رأيها بكل جرأة وصراحة، مهما كان ذلك بعيداً عن المألوف. لكنه يعلم في الوقت ذاته، أنه لم يعش لحظة مملة برفقة هذه المرأة. بالنسبة إلى رجل عانى مرارة الحب منذ سنوات، فعلاقاته مع النساء لم تتعدَّ العلاقات الحسية، ولم يكن يزعجه ذلك فقط، بل أيضاً يقلقه إلى أبعد مدى.

هز رأسه، وقال: «أنا حقاً بحاجة إلى الذهاب لإجراء بعض الاتصالات الهاتفية. ماذا هناك الآن؟».

سألها بضيق ما إن رأى ملامح عدم الرضى على وجهها. رفعت بروني كتفيها، وقالت: «أتساءل إن كنت ترغب في تمضية بعض الوقت مع ميشيل».

قطب أليخاندرو جبينه، وسألها باستهزاء: «بالكاد انتهيت من تناول الغداء معكما. أليس كذلك؟».

قالت بنبرة قاطعة: «تناول الطعام معاً وتمضية بعض الوقت معه

أمران مختلفان تماماً».

تنفس بعمق محاولاً تهدئة نفسه. لا أحد... لا أحد مطلقاً حاول التحقيق معه بهذه الطريقة!

قال بصبر: «أخبريني بروني! هل حضرت يوماً أو كنت موجودة أثناء ترويض حصان بري؟».

نظرت إليه بروني حائرة، وقالت: «لا يمكنني القول إنني فعلت».

هز رأسه متفهماً، وعلق: «لو أنك فعلت، لعلمت أن الأمر يحتاج إلى الكثير من الصبر. أولاً أنت بحاجة لتجعلي الحصان يعتاد على وجودك، وعلى نبرة صوتك، وما إن تفعلي ذلك حتى تستطيعي البدء بلمس الحصان، وأنت تتكلمين معه، وهذا أيضاً يحتاج إلى وقت. لكن ما إن يتقبل تلك الأمور، حتى يحين الوقت لوضع السرج وتثبيته. تضعينه فقط... أنت تفهمين ذلك. أنت بحاجة إلى المزيد من الأيام قبل أن تحاولي فعلاً الصعود إلى السرج. إن حاولت الإسراع في هذه الأمور، ستقعين عن ظهر الجواد بدلاً من ترويضه».

حدقت بروني به غير مصدقة ما سمعته. شهقت وهي تقول: «هل تحاول أن تقول لي إنك تعتبر طريقة تعرفك وتقربك من ميشيل تماماً كترويض جواد بري؟».

رفع أليخاندرو كتفيه العريضتين، وأجاب: «إنها طريقة مجربة ومضمونة».

- أنت... أنت...

تورد وجهها من شدة الغضب، ولمعت عيناها بقوة ما إن وقفت لتواجهه متابعة: «أهذه هي الطريقة التي تروض بها المرأة أيضاً، أليخاندرو؟».

تابعت تتحداه باشمئزاز: «هل تتحدث إليهن بنعومة... تلامسهن وتتودد إليهن قبل أن تقيم علاقة معهن؟».

كانت تتنفس بصعوبة من شدة الغضب والانزعاج. لمعت عيناه الرماديتان بالغضب، وضغط على أسنانه بقوة قبل أن يقول: «لا يحق...».

قاطعته قائلة: «لدي كل الحق، إن كنت تعتقد حقاً أن هذه هي الطريقة التي ستستعملها لتتقرب إلى ميشيل، فأنت شخص لا يحتمل. هل تعرف ذلك؟».

هزت رأسها غير مصدقة ما يجري، وتابعت: «لا يمكن احتماله وبشكل مطلق، إن كنت تفكر أنك قادر على التعامل مع عواطف طفل صغير بخفة وكأنك تروض حصاناً بريّاً...».

انتفض عصب في خد أليخاندرو: «وأنت بروني، لم تحاولي أبداً أن تتفهمي أن هذا الوضع صعب عليّ أيضاً».

أجابت على الفور وبسخرية: «اغفر لي، أليخاندرو! أنت فعلاً لست من ضمن اهتماماتي».

أنهى أليخاندرو كلامها بغضب: «وميغيل أيضاً، في الواقع. أعتقد أنك مشغولة بالتفكير بالسوء بي دائماً».

أجابت: «سأفكر بالسوء بأي رجل يتخلى عن مسؤولياته طوال ست سنوات».

ضاقت نظرة عينيه بطريقة خطرة: «الآن وصلنا إلى السبب الحقيقي لكرهك لي».

- لم أحاول التظاهر بأنني أشعر بأي شيء آخر نحوك!

رمقها بنظرة باردة كالثلج، قائلاً: «لا معرفة لديك مطلقاً بما حدث بيني وبين جوانا منذ سبع سنوات».

أكدت له بنبرة ناقدة: «أعرف ما يكفي. جوانا لم تثق بك لدرجة كافية لتخبرك أنها حامل، فكيف لو حاولت أن تطلب منك تحمل مسؤولية الأمر».

ارتفع صدر أليخاندرو وهبط بسرعة، وهو يحاول أن يسيطر على غضبه. قال لنفسه إن بروني تتحدث عن ذلك جاهلة ما حدث بالفعل. إنها تحكم عليه من خلال ما تعتقد أنها تعرفه، وليس مما تعرفه فعلاً بشأنه وشأن جوانا. لم ينجح ذلك، فغضبه لم يسكن للحظة. قال لها ببرودة: «أنصحك ألا تطلقي أحكاماً بشأن أمور لا تفهمينها».

- آه! لكنني أفهمك أنت جيداً، أليخاندرو!

أكدت له بروني ذلك وهي تحرك رأسها باستهزاء واستخفاف، وقد لمعت عيناها بشدة وهي تتابع: «أنت بارد، متحفظ، ومتفاخر بنفسك. تظن أنك تعرف كل شيء، وهذا أمر لا يحتمل».

استمر في النظر إليها بإحباط وضيق لثوان طويلة. ضغط على أسنانه بقوة، وهو يفكر إن كان يرغب في تمزيقها من خلال إجابته، أم أنه ببساطة يرغب بضمها بين ذراعيه ومعانقتها حتى تفقد أي رغبة بالشجار.

وانتصر الخيار الأخير!

مدّ أليخاندرو يده ليشد جسدها النحيل إليه. شعر بنعومة بشرتها على بشرته وهو يضمها إليه ويعانقها. لم يكن ذلك العناق متوقعاً، بل جاء مفاجئاً، ولم يعط بروني أي فرصة إلا الاستجابة له. بدا لها كأنها تغرق، فكل جزء فيها بدا كأنه يذوب بأليخاندرو. تحركت يداها لتتمسكا بكتفيه. بعدئذٍ أبعدها أليخاندرو عنه. رأت عصباً ينتفض بقوة في خده، عندما استدار كأنه يريد التأكد أن ميشيل لم يلاحظ ما حدث، وهو لم يفعل.

تمتم أخيراً: «علي الذهاب».

استدار على عقبيه، وسار بخطى واسعة نحو الفيلا.

راقبته بروني يرحل، وهي تدرك تماماً حقيقة واضحة: بدلاً من أن ترفض عناق أليخاندرو، أعلمها الشوق الذي تشعر به أنها فعلاً تشعر

بالندم لأن العناق انتهى بسرعة وعلى نحو مفاجئ.

٦- لن أتزوج... مرة ثانية

تقلبت بروني على السرير، وهي تحاول أن تجد وضعاً مريحاً يمكنها من الاستسلام للنوم. أمر حاولت القيام به طوال الساعة الماضية، فهي لا تشعر بالراحة لتتمدد وتقرأ الكتاب الذي أحضرته معها، كما أن أليخاندرو لم يرجع من سهرته في الخارج بعد.

شعرت بالغضب منه بشكل لا يحتمل بعد ظهر هذا اليوم، ثم تفاجأت وشعرت بالشوق إليه بعد أن عانقها. في الواقع، أحست بالتشتت والضياع، لدرجة أنها شعرت بالارتياح عندما أتت ماريا، وعرضت عليها أن تأخذ ميشيل في نزهة إلى القرية برفقتها. أصابها الإرهاق من شدة حيرتها بسبب ذلك العناق، وامتلأ رأسها بالكلمات التي كان عليها قولها لأليخاندرو ولم تقلها، ما دفعها للنوم نوماً عميقاً، وهي مستلقية على المقعد الطويل قرب بركة السباحة.

استيقظت بعد ساعة لتجد أن ظهرها احترق بسبب أشعة الشمس، كما أنها كانت متوترة جداً من قبل، ونسيت أن تضع مستحضراً واقياً عليه قبل أن تنام.

نهضت بروني من السرير بعد أن نفد صبرها، فالعلاج الذي وضعته على كتفيها وعلى جزء من ظهرها لم يخفف من الحرارة، التي تلسعها مانعة عنها القدرة على الاسترخاء والنوم.

www.elromancia.com

فتحت الأبواب الفرنسية لتخرج منها إلى الشرفة، وسمعت صوت جرس بعيد حول رقبة شاة أو خروف، وأزيز صوت حشرة الحصاد.

المكان حقاً جميل. تنتشر فيه أزهار البوغنفيلا الملونة، التي تنمو بوفرة في كل مكان، كذلك أشجار الحمضيات والبرتقال التي تغطي التلال المحيطة بالفيلا. أما القرى الصغيرة المجاورة فتنبعث روائح شهية لطيفة من شرفاتها ومن متاجرها القديمة ومقاهيها. بالإضافة إلى أنها كلها محاطة بأجمل لون بحر رأته بروني في حياتها.

لكن هذا الجمال مشوّه بالنسبة إليها بسبب وجود أليخاندرو.

ما الذي حدث بينهما هذا النهار؟ إنها لا تدري حقاً! بدأ الأمر بحوار بريء جداً، وانتهى بذلك العناق الحار. عناق أثر بها، وترك توتراً وعدم انسجام كبير بينهما، ما جعل بروني تشعر بالقلق والاضطراب منذ ذلك الحين. هي ما تزال غاضبة منه! قالت ذلك لنفسها بعد أن تركها، لكن ما إن أصبحت في غرفتها، وصعدت إلى سريرها، حتى هجرها النوم. سمحت لأفكارها أن تخفف من غضبها، فحاولت أن تفهم لماذا أخذ حوارهما ذلك المنحى، ووصل إلى نتيجة دفعت أليخاندرو لمعانقتها. لكن الاستنتاج الذي توصلت إليه، لم يكن مرضياً. كانت هناك حدة بينهما خلال تبادل الحديث، وعندما عانقها فجأة، لم يبق لجسدها خيار إلا الاستجابة.

لا!

أغمضت بروني عينيها لتبعد عنها تلك الذكريات. من الحماقة المطلقة أن تسمح لانجذابها الحسي لأليخاندرو، أن يصبح أكثر عمقاً مما هو عليه.

لكن ماذا إذا كان إحساس لا قدرة لها على السيطرة عليه؟

استطاعت أن تسمع صوت محرك سيارة قادمة عبر الطريق الضيق الموصل إلى الفيلا، وعلمت أن أليخاندرو راجع من سهرته في

الخارج. هناك إساءة لكرامتها من احتمال أن يراها أليخاندرو واقفة على الشرفة، فقد يعتقد أنها كانت بانتظاره ليعود إلى المنزل، وهذا غير صحيح. أليس كذلك؟

قررت ذلك، وهي تتحرك بسرعة، لتعود إلى غرفتها، وتغلق الباب وراءها؛ لم يرها أليخاندرو، ولن يصل إلى أي استنتاج من جراء ذلك، صحيح كان أم خاطئ.

في صمت الليل، سمعت أليخاندرو يوقف سيارته في المرآب، ثم سمعت وقع خطواته في الحديقة، وهو يسير نحو الفيلا، ويدخل. توترت أعصابها وهي تسمع خطواته، وهو يصعد الدرج، ويسير عبر الممر، حتى يدخل غرفته.

أجفلتها الطرقة الخفيفة على باب غرفتها، لدرجة أنها كادت ترتطم بإناء زهور الزنبق الموضوع على زاوية طاولة الزينة.

أتى أليخاندرو إلى غرفتها، بدلاً من الذهاب إلى غرفته. هل السبب هو ذلك العناق الذي تبادلاه عصر هذا اليوم؟ هل أدرك أليخاندرو أن جزءاً من غضبها، يعود إلى انجذاب خفي نحوه يصعب تفسيره؟

أنت تتصرفين بحماقة الآن، بروني! وبخت نفسها على الفور بسبب أفكارها المرعبة.

شبكت أصابعها ببعضها، لتتمكن من وقف ارتجافها، وقالت بصوت عال: «أجل!».

فتح أليخاندرو الباب ببطء، ودخل بهدوء إلى الغرفة.

رفع حاجبيه متسائلاً: «رأيت الضوء في غرفتك، فتساءلت إن كانت هناك مشكلة ما؟».

أجل، هناك مشكلة! أدركت بروني ذلك بشوق، وهي تشعر بتسارع دقات قلبها، وبالحرارة تجتاح جسدها لمجرد النظر إليه. بدا

شعره الأسود أشعث قليلاً بسبب نسيم المساء، وقد فك الزر الأعلى لقميصه، فظهرت شعيرات سوداء لا شك أنها تغطي صدره بأكمله. أما بذلته الرسمية فتزيد من وسامته وجاذبيته.

رفعت بروني عينيها المنهكتين لتنظر إلى وجهه، وندمت على الفور على ما فعلته، إذ أصبحت عيناها أسيرتي نظرته المتفحصة.

قال باهتمام: «بروني!».

ابتلعت غصة في حلقها، ووبخت نفسها على حماقتها. أجابت بنبرة حازمة: «لا! ليس هناك من مشكلة. كل ما في الأمر أنني لم أستطع أن أنام. هذا كل شيء. الطقس حار جداً هذه الليلة. أليس كذلك؟».

وأصبح أكثر حرارة منذ أن دخل أليخاندرو غرفة نومها! ما الذي يحدث لها؟ إنها ليست فتاة مراهقة سريعة التأثر بل امرأة ناضجة في الخامسة والعشرين من عمرها. تعرفت بروني على عدد من الرجال في السنوات القليلة الماضية، لكن لا أحد منهم يشبه أليخاندرو ولو بصفة ما، فجميعهم رجال لطفاء، عاديون... رجال يشاركونها اهتماماتها... رجال تشعر أنها قادرة على التحدث معهم، وليسوا كهذا الرجل الذي يملأ الغرفة بمجرد دخوله إليها، ويأمر بمجرد نظرة... رجل يزعج ويقلق حياتها منذ اللحظة التي دخل فيها إليها منذ ستة أسابيع، رجل... رجل يجعل قلبها يدق بسرعة وأنفاسها تضطرب لمجرد كونه في الغرفة ذاتها معها. وهذا أمر مرعب ومخيف.

- بروني! ما الأمر؟

قالت بنبرة حازمة، ما إن رأته على وشك السير إلى وسط غرفة نومها: «لا! الوقت متأخر أليخاندرو! أنا أريد النوم الآن».

حدق أليخاندرو بوجهها. بروني تنظر إليه الآن، وكأنها تبادله ذلك

الانجذاب الذي شعر به عندما عانقها عصر هذا اليوم. ذلك الشعور الذي حاول إبعاده عنه، بعد أن غادر الفيلا. لكن بعد ذلك، وما إن جلس إلى طاولة العشاء بين عدد من الناس في منزل روج، حتى أخذت أنطونيا تسامره، وتسخر منه بسبب أحلام اليقظة التي يعيشها، لكنها لم تستطع أن تبعده عنها. في الواقع، شعر بنفاد صبره أكثر فأكثر مع محاولات أنطونيا خداعه بجمالها المصطنع.

رأى النور مضاء في غرفة نوم بروني، ما إن واجهته التلة التي تقع فيها الفيلا، فقال لنفسه إنه لن يدق على بابها. لن يكون ذلك عملاً منطقياً من قبله بعد مواجهتهما الأخيرة. فالمشاعر التي جمعتهما بدت قوية لدرجة أنه أجبر نفسه على الابتعاد عنها والمغادرة. عليه الذهاب إلى غرفة نومه، ونسيان كل ما يتعلق ببروني سوليفان. لكن بدا كما لو أن لقدميه قدرة خاصة ورغبة مختلفة تماماً عن إرادته، إذ وجد نفسه يدق على بابها...

ما زال ذلك التوتر وذلك الشوق يمتد بينهما عبر الغرفة. إنها تبدو جميلة حتى، وهي ترتدي بيجاما، فشعرها منسدل على كتف واحدة، ويغطي صدرها...

هز أليخاندرو رأسه فجأة، وقال: «إن كنت متأكدة أنك بخير».

علم أن عليه المغادرة الآن، قبل أن يقدم على تصرف طائش مع بروني.

- أجل، بالطبع!

توقفت بروني عن الكلام، فقد بدأت بالسير عبر الغرفة لتشجعه على الخروج، لكنها توقفت فجأة وهي ترتجف قليلاً. تابعت بنبرة مرحة: «أنا بخير... بخير فعلاً!».

قطب أليخاندرو جبينه، وتمتم بنعومة: «بطريقة ما، أعتقد أنك لست كذلك».

تقدم أكثر نحوها، فقالت معترضة: «من فضلك، أليخاندرو!».

علمت أنه ما كان عليها التحرك، لأنها بذلك جعلت قماش قميص بيجامتها يحف بألم على ظهرها المتورم الأحمر. قالت كأنها تأذن له بالانصراف: «أي سوء يمكن أن يحدث؟».

- لا أدري.

توقف عن متابعة كلامه، فقد أصبح على بعد خطوة واحدة منها الآن. نظر بتمعن إلى وجهها، وتابع أخيراً: «تبدين متوترة».

قالت له باستياء، متمنية لو أنه يغادر: «حسناً! من الصعب القول إن هذا إطراء لي، أليخاندرو».

تريده أن يغادر الآن. ليس فقط لأنها ترغب وبيأس بوضع المرهم الملطف على ظهرها.

هز أليخاندرو رأسه، غير مقتنع أبداً بمحاولتها المرحة.

قال بحزم: «أرفض أن أغادر حتى تخبريني ما الأمر، بروني!».

ضحكت بروني غير مصدقة ما تسمعه، وقالت تحذره: «يمكنني أن أصرخ».

ما زال المرح وسيلتها المعتمدة، برأي أليخاندرو، لذا كرر بثقة: «هل الأمر يتعلق بميشيل أم بوالديك؟ أخبريني ما الأمر، بروني!».

حركت رأسها بعناد، وقالت بغضب، لأن أليخاندرو استمر في النظر إليها: «لا شيء! في الواقع... حسناً! بقيت تحت الشمس لوقت طويل بعد الظهر، هذا كل شيء. هل أنت راضٍ الآن؟ يمكنك مغادرة غرفتي؟».

حدقت به بغضب، فيما علا الاحمرار وجهها من شدة الخجل والاضطراب.

علم أليخاندرو أن هذا ما عليه القيام به، وأنه إن قام بأي شيء آخر، فذلك أمر خطير جداً ومبالغ فيه، لكنه يعلم أيضاً أن شمس

المغرب قوية جداً بعد الظهر، وأن كانت بروني قد بقيت تحت أشعتها لفترة طويلة...

قال بضيق: «دعيني أرى!».

حدقت بروني به بعينين واسعتين، ماذا؟ أتنزع قميصها وتدعه يرى ظهرها؟ لا مجال لذلك! ما من مجال مطلقاً لأن تخلع قميصها أمام هذا الرجل، مع أن الفكرة بحد ذاتها جعلت جسدها يرتجف.

قالت له بوقار: «لا داعي لذلك، فأنا قادرة على معالجة نفسي. شكراً لك!».

أكدت له ذلك، لأنه ظل واقفاً ينظر إليها بتفاخره المعتاد، الذي يؤكد لها أنه قادر على مجاراتها بالعناد.

- من الواضح أنك لست قادرة على ذلك، بما أنك ما زلت تشعرين بالألم.

- وضعت بعض المرهم الملطف للألم بعد التعرض لأشعة الشمس.

أكدت له ذلك بانزعاج، وهي تسير عبر الغرفة لتمسك بعلبة المرهم، التي وضعتها على الطاولة المجاورة للسرير. رفعتها إليه قائلة: «أرأيت؟».

قال أليخاندرو بصوت ناعم كالحرير: «أين؟».

شعرت بتورد وجهها من جديد، فتمتمت بسرعة: «على ظهري. والآن من فضلك!».

قال لها أليخاندرو بسرعة: «لا يمكنك أن تضعي المرهم الملطف على ظهرك كله».

أصبحت بروني أكثر توتراً مع كل لحظة تمر. ألا يكفيها أنه عانقها سابقاً، وأنها تجد نفسها سريعة التأثر لمجرد وجوده في هذه الغرفة، فكيف يمكنها أن...؟

قالت له بعناد: «يمكنني أن أصل إلى مكان كافٍ».

- لا أوافقك الرأي.

قاطعته قائلة: «هل تعلم، أليخاندرو؟ لا يهمني مطلقاً إن كنت توافقني الرأي أم لا! والآن، من فضلك غادر غرفتي، قبل أن أبدأ بالصراخ من شدة الغضب!».

استمر أليخاندرو بالنظر إليها، ملاحظاً النار المشتعلة في عينيها وتورد خديها. هل هذا بسبب طبعها الناري، أم أن هناك شيئاً آخر؟ رفع كتفيه، وتمتم قائلاً، وهو يأخذ علبة المرهم الملطف من يدها، ويبدأ بفتحه: «لا بأس بذلك، ففي النهاية ستأتي ماريا لتعرف سبب صراخك، وعندها ستضع لك المرهم بنفسها بدلاً مني».

رمقها بنظرة ساخرة، ما دفعها لتقطيب جبينها.

إنه لا يشعر مطلقاً بالهدوء والسيطرة على نفسه كما يظهر لها، وفكرة تمرير يديه على ظهر بروني والشعور ببشرتها الناعمة تحت أصابعه تدمر سيطرته على نفسه. ارتجفت يداه قليلاً ما إن سكب القليل من المستحضر على راحة يده.

- افعلي ما أقوله لك، بروني!

بدت نبرة صوته قاسية، وهو يعترف لنفسه بشوقه إليها، مع أنه لم يلمسها بعد!

حدقت بروني به للحظات قليلة، قبل أن تزفر بغضب، وتقول: «آه... حسناً!».

سارت نحو السرير واستلقت على معدتها، ثم رفعت القميص عن ظهرها. هكذا ستحمي كبرياءها على الأقل.

قال لها أليخاندرو بنبرة هادئة، وهو يقف وراءها، ما إن استدارت لتحدق به بغضب: «لا أستطيع وضع المرهم على كتفيك وأعلى ظهرك بهذه الطريقة».

لا! بالطبع. اعترفت بروني وهي تتنهد. جلست، واستدارت إلى الجهة الثانية، لتفتح أزرار قميصها.

قالت له بانزعاج: «هل يمكنك أن تستدير إلى الجهة الأخرى للحظة، من فضلك؟».

انتظرت حتى فعل ذلك، ثم نزعت قميصها، وأسقطتها على الأرض، ثم ألقت بوجهها على السرير مجدداً، وهي تشعر به يلتهب تماماً كظهرها من شدة الإحراج.

جلس أليخاندرو على جانب السرير، فرك كمية من المرهم الملطف على يديه، ثم بدأ بوضعه على كتفيها المحترقتين. بدأ ألمها يخف على الفور، لكنها أيضاً شعرت بإحساس جديد، لم تعهده من قبل.

علم أليخاندرو أن بشرة بروني حريرية تماماً كما تخيلها. أصبحت لمسات يديه لطيفة ما إن شعر بألمها. قال بنبرة جافة في محاولة منه لإخفاء توتره المتزايد: «الاستلقاء تحت أشعة الشمس حتى الاحتراق عمل أحمق تماماً».

رفعت بروني رأسها، لتنظر إليه بغضب، وتقول: «آه، صحيح! أنا جلست هناك عمداً كي أحترق!».

أضافت، وهي تدفن وجهها بالوسادة: «استسلمت للنوم من دون قصد مني. مفهوم؟».

ابتسم أليخاندرو بسبب انزعاجها الواضح من نفسها.

قالت بروني بكبرياء، وهي تفتح عيناً واحدة لتنظر إليه: «أتمنى ألا تكون تلك ابتسامة على وجهك، أليخاندرو سانتياغو!».

اتسعت ابتسامته، وقال مفسراً لها ما إن سمع تنهيدتها: «تبدين مثل أمي، عندما كانت توبخني وأنا طفل، غير أنها كانت تستعمل دائماً اسمي الكامل أليخاندرو ميغيل دييغو سانتياغو».

- ربما سأفعل ذلك الآن، بما أنني عرفت اسمك الكامل.

تمتمت بروني ذلك بتوتر، لا سيما أنها أدركت أن اسمه يتضمن اسم ميغيل. هل كانت جوانا تعرف ذلك عندما أطلقت هذا الإسم على ابنهما، أم أن ذلك حدث بالصدفة؟

صدفة أم لا، فأن ذلك يذكرها بمن هو وماذا هو أليخاندرو بالتحديد!

تمتمت تسخر منه: «أظن أن السينيوريتا روج لن تكون سعيدة لو استطاعت رؤيتك الآن».

شعرت بيدي أليخاندرو تتوتران، ما إن ذكرت اسم المرأة الأخرى. سألها بانزعاج: «أنطونيا؟ ما علاقة أنطونيا بمساعدتي لك للتخفيف من آثار حروق الشمس؟».

صححت له بروني عن قصد: «أنت في غرفة نومي تساعدني لتخفيف آثار حروق الشمس».

أضافت بعد لحظات من الصمت: «قد تقرر فسخ الخطوبة، إن علمت بذلك».

شعرت بتحرك الفراش، ما إن وقف أليخاندرو على نحو مفاجئ، فأسرعت بروني لالتقاط قميصها عن الأرض وارتدائها، ثم جلست ونظرت إليه.

تحول لون عينيه الرماديتين إلى لون فضي شاحب من شدة الغضب، كما ظهر الضيق والانزعاج على ملامح وجهه القاسي. قال ببرودة: «ليس هناك من خطوبة، ولن يكون هناك أبداً خطوبة بيني وبين أنطونيا روج».

بدا أليخاندرو غاضباً بشدة، أكثر مما رأته يوماً، مع أنها لم تملك أي فكرة، لماذا أثار مزاحها معه غضبه بهذه القوة.

رفعت بروني كتفيها قائلة: «ربما لم تظهر ذلك بوضوح كافٍ

للآنسة روج بعد، لكنني متأكدة تماماً أنها تظن أن المدرسة الداخلية هي المكان الأفضل لميشيل ما إن تتزوجا».

لمعت عينا أليخاندرو ببرودة، قبل أن يقول بانزعاج وضيق: «أنت مخطئة تماماً».

تعمدت التحدث عن موضوع أنطونيا، رغبة منها في وضع حدٍ نهائي للحميمية التي سادت بينهما، لكنها لم تتوقع أن تنجح بذلك إلى هذا الحد.

نظرت إليه حائرة، وقالت: «كانت تلك مجرد فكرة».

- هذا مثل آخر جديد عن تدخلك بأمر لا يعنيك مطلقاً.

- إن أصبحت زوجة أب ميشيل، فسيكون الأمر من اهتماماتي.

- لن تصبح كذلك.

بدت نبرة صوته قاسية، لدرجة أن بروني شعرت أنه يفضل التحدث بلغة بلاده من شدة الضيق، لكنه تابع بقسوة: «لن يحظى ميغيل بزوجة أب، لا أنطونيا ولا غيرها، لأنني لا أرغب مطلقاً بالزواج ثانية! والآن، هل هذا يرضي فضولك؟».

ثانية...؟!

هل قال أليخاندرو إنه لن يتزوج أبداً مرة ثانية؟

٧- زيارة مفاجئة

لقد أخبرها بالكثير! أدرك أليخاندرو ذلك باشمئزاز، ما إن انطفأ ذلك الشعور بالتوق نحوها، كأنه لم يكن أبداً من قبل. أخبر بروني سوليفان أكثر مما تحتاج إلى معرفته.

إنها تنظر إليه الآن بعينين واسعتين مليئتين بالشك، وكأن حقيقة أنه تزوج سابقاً تجعله...

قال بخشونة ما إن قرأ الاتهام الواضح في عيني بروني: «تزوجت بالتحديد بعد ثلاثة أشهر من انتهاء علاقتي القصيرة بجوانا».

أجابت وهي تهز رأسها باستغراب: «لا عجب أنك وجوانا لم تتزوجا. من المحتمل أنك كنت متزوجاً من امرأة أخرى في الوقت الذي أدركت فيه أنها حامل بميشيل!».

- ليس الأمر كذلك أبداً.

قالت باستهزاء: «أحقاً؟ سامحني إن كنت لا أصدقك».

بدا أليخاندرو ذلك الإسباني الثري المتفاخر، وهو ينظر إليها بعينين باردتين كالثلج، ويقول: «لا أسامحك! ها أنت من جديد تتحدثين عن أشياء، وتلقين اتهامات، بأمور لا تعرفينها ولا تفهمينها».

- أفهم أنك كنت متزوجاً من امرأة أخرى، في حين كانت جوانا

تعتني بطفلك بمفردها».

- لم أكن أعلم أنها حامل.

سألته بروني: «وماذا كنت ستفعل لو أنك علمت؟ هل ستدفع لها لتقدم على الإجهاض؟ أم ستعترف بكل ما حدث لزوجتك بعد أشهر قليلة من الزواج لتدمر حياتها أيضاً؟ مع أن حقيقة أنكما لستما متزوجين الآن يعني أن لديها على الأقل ما يكفي من المنطق لتتركك».

أخذت تتنفس بصعوبة من شدة توترها.

لم يتلقَّ أليخاندرو يوماً مثل هذه الإهانات من قبل، لا من رجل ولا من امرأة، وحقيقة أنه شعر بشوق لا مثيل له تجاه هذه المرأة بالذات، يجعل الأمر أكثر سوءاً، لأنها لم تقابله بسوى الإهانات.

لوى شفتيه بانزعاج، وعلق قائلاً: «توفيت زوجتي، ولم يكن هناك من مجال للتساؤل إن كانت جوانا ستخضع للإجهاض! لو أنها أخبرتني عن حملها لساعدتها في العناية بالطفل».

علقت بروني باستهزاء: «لابد أنه أمرٌ جيد أن تكون ثرياً بما فيه الكفاية، لتتمكن من إنقاذ ضميرك بهذه السهولة».

- لو كنتِ رجلاً لضربتك بسبب الإهانات التي رميتها بوجهي هذه الليلة.

تابع أليخاندرو ببرودة: «لكن مادمت لست كذلك، أرى من الأفضل أن أتركك الآن، لأعطيك فرصة كي تهدأي. بإمكاننا التحدث ثانية بشأن هذا الموضوع صباح الغد، إن رغبت بذلك».

ليتها لم تقابله قط. أما السبب فلم يعد متعلقاً بميشيل وحده...

منذ دقائق فقط شعرت بالانجذاب نحو أليخاندرو، وليست هذه المرة الأولى التي تشعر فيها بذلك نحوه. ما تريد القيام به الآن هو أن تجلس وحيدة، وتبكي، لأنها سمحت لنفسها أن تتعلق برجل معقد

مثله. قبل دقائق فقط أرادت أن تستدير على السرير، لتشده إليها ليعانقها من جديد، حتى تتوقف عن التفكير بأي شيء غيره. أحست بالتوتر من هذا الاعتراف لنفسها، تماماً كما حدث لها عندما علمت بأمر زواجه السابق. قالت بغموض: «لا أعرف ما الذي سأرغب به عند الصباح».

لكنها تعرف! إنها تريد العودة إلى بلادها، لتنسى أنها قابلت يوماً هذا الرجل، الذي يتعذر فهمه. لكن بدلاً من القيام بذلك، عليها البقاء هنا، من أجل مصلحة ميشيل.

قالت له بصراحة: «من فضلك! اخرج من هنا».

نظر أليخاندرو إلى رأسها المنحني، إلى شعرها الجميل المنسدل على كتفيها، كأنه ألسنة نار متلهبة. حدق بالنمش الجميل على كتفيها، وشعر أن شيئاً من الغضب الذي يسيطر عليه يفارقه.

ليس من الضروري أن تعرف بروني تفاصيل علاقته مع أنطونيا أو حتى ظروف زواجه من فرانسيسكا... والآن بعد أن أدرك كم يتوق ليضمها إليه وليعانقها، علم أنه على حق أكثر من أي وقت مضى؛ بروني سوليفان هي المرأة الأخيرة التي يمكن أن يقيم علاقة غرامية معها. قال بسرعة: «أنت على حق».

تنهدت بروني وقالت: «أجل!».

رفعت يدها لتدفع شعرها الكثيف عن كتفها، ولتنظر إليه بعينين يظللهما الألم.

راقبها أليخاندرو للحظات عدة، قبل أن يستدير بسرعة، ويسير نحو الباب. أغلقه بنعومة وراءه، ما إن غادر. أغمض عينيه واتكأ على الجدار في الممر، مقاوماً الشوق الذي يدفعه للعودة إلى الغرفة، لكي يأخذ بروني بين ذراعيه. اتخذ قراراً عندما توفيت فرانسيسكا منذ خمس سنوات، أن أي علاقة يقدم عليها في المستقبل، ستكون علاقة

سطحية وقصيرة الأمد، وبدون أي ارتباط عاطفي. هو يعلم مسبقاً أن بروني سوليفان، بتحفظها وإيمانها بالأخلاق والمثل العليا، وبعينيها الزرقاوين اللتين تذيبان روحه، لا ترضى بذلك النوع من العلاقات.

* * *

شعرت بروني بالتوتر صباح اليوم التالي بسبب تورم عينيها وافتقادها للنوم، فقد وجدت من الصعب أن تنام بعد ما علمته عن أليخاندرو. من المحتمل أنه كان مرتبطاً بالخطوبة عندما التقى بجوانا منذ سبع سنوات، ومتزوجاً في الوقت الذي علمت فيه جوانا أنها تتوقع طفلاً منه، وكما يبدو توفيت زوجته في وقت ما خلال تلك السنوات السبع. راحت هذه الأمور تدور مراراً وتكراراً في ذهنها طوال ساعات الليلة الماضية. أمر آخر هام علمته أيضاً؛ إن أي انجذاب قد تشعر به نحو أليخاندرو يجب أن يتوقف بشكل نهائي!

ما كان لذلك أن يحدث منذ البداية، لاسيما بعد الصراع الذي جرى بينهما منذ سنة أسابيع من أجل الوصاية على ميشيل. في الواقع، كلما عرفت المزيد عن أليخاندرو سانتياغو، كلما ترسخ إحساسها أكثر أنه كان يجب أن يسمح لميشيل بالبقاء معها.

حقيقة أن أليخاندرو يجلس بمفرده إلى طاولة الطعام هادئاً، يقرأ جريدة الصباح، وهي تنزل الدرج لتناول الفطور، لم تلطف أو تحسن مزاجها السيء.

رفع أليخاندرو رأسه ما إن شعر بدخول بروني الهادئ إلى الغرفة. قطب جبينه، ما إن لاحظ أنها تتجنب النظر إلى وجهه، وهي تسير نحو جهة خزانة الأطباق، وتسكب لنفسها كوباً من العصير. سألت ما إن اقتربت من الطاولة، لتجلس على الكرسي المواجه له: «أين ميشيل؟».

- ذهب إلى البستان مع ماريا، ليقطف بعض البرتقال الطازج.

وضع الصحيفة بعناية على الطاولة بجانبه، وقال باستغراب: «هل العصير كل ما ستتناولينه على الفطور؟».

رفعت بروني كتفيها بلا اهتمام، وأجابت: «لست جائعة».

قال بنعومة: «كيف تشعرين هذا الصباح؟».

رفعت ذقنها، ورمته بنظرة مليئة بالتحدي، وهي تجيب: «وكيف يجب أن أشعر؟».

رفع كتفيه العريضتين قائلاً: «أتساءل إن كان مازال ظهرك يؤلمك؟».

تجنبت النظر إليه من جديد، وهي تجيب: «آه! إنه أفضل هذا الصباح. شكراً لك!».

أنها لاتبدو بحال أفضل! لاحظ أليخاندرو ذلك، وهو ينظر إلى وجهها الشاحب وإلى الظلال السوداء تحت عينيها. هز رأسه بسرعة، وقال: «هذا أمر جيد. لدي عملٌ علي القيام به في بالما اليوم، هل تستطيعين أن تملأي النهار مع ميشيل، فتتسليان بالسباحة في البركة؟ مع وضع واق كافٍ للشمس، بالطبع!».

أجابت بروني بنبرة جافة: «بالطبع، نستطيع! إذا شعر ميشيل بالسأم، يمكنني أن آخذه في نزهة إلى بانيالبوفار. تقول ماريا إنها فوق الشاطئ وكذلك...».

قاطعها أليخاندرو قائلاً: «أفضل ألا تذهبي سيراً على الأقدام إلى أي مكان اليوم».

علقت بروني ساخرة: «أنا متأكدة أن النزهة ستسدي خدمة لراوول ورافايل. لابد أن شحوب بشرتيهما سببه عدم التعرض بقدر كافٍ لأشعة الشمس».

قال أليخاندرو بحزم: «لكن أنت فعلت ذلك، والذهاب في نزهة اليوم وبشرتك محترقة ليس بالعمل الصائب».

رمته بروني بنظرة انزعاج، وقالت: «أعتقد أنني كبيرة بما فيه الكفاية، كي لا أقدم على الخطأ نفسه مرتين».

حدّق أليخاندرو بها متأملاً. هل مازالا يتحدثان عن حروق الشمس أم عن شيء آخر؟

من أجوبتها الحذرة عن أسئلته هذا الصباح، أدرك أن هناك شيئاً مختلفاً!

شعر بنعومة بشرتها تحت لمسة يديه ليلة البارجة، وهو يضع المستحضر بعناية على كتفيها وظهرها، وهو يملك ما يكفي من التجارب، ليعلم أن بروني استمتعت بالأمر. حسناً! إن كانت تخشى أن يقترح عليها أن يعيد تلك المهمة، فهي مخطئة. دفع ثمن مشاعره نحوها ليلة خالية من النوم، وهو لا يرغب في تكرار تلك التجربة.

- أقترح أن تسألي ماريا أن تضع على ظهرك مستحضراً واقياً من حروق الشمس، قبل أن تخرجي.

قال ذلك بنبرة حازمة، قبل أن يرمي المنديل على الطاولة، وينهض متابعاً: «لست متأكداً من موعد عودتي، لذا لا داعي...».

- آه، من فضلك! لا تسرع بالعودة من أجلنا.

أكدت له بروني ذلك بنبرة مليئة بالاستياء، رغم إحساسها بالارتياح لأنه سيبقى طوال النهار خارج الفيلا. تابعت: «أنا وميشيل معتادان على تسلية بعضنا».

نظر أليخاندرو إليها، قبل أن يستدير، ويسير بخطى واسعة مغادراً الغرفة.

تنهدت بروني بارتياح، وهي تشعر باسترخاء كتفيها المشدودتين من شدة الألم. كما يحدث في مثل هذه الحالة، البشرة التي تغطي ظهرها بدأت بالتشقق، ولاشك أنها ستتقشر بعد عدة أيام، وبدلاً من الحصول على مظهر جذاب سيشبه منظرها الأفعى وهي تخلع جلدها.

حسناً! إن كان أليخاندرو يبحث عن الجاذبية، فلا داعي لأن ينظر إلى أي امرأة غير أنطونيا روج! حقيقة أدركتها بروني جيداً في وقت لاحق ذلك الصباح، عندما سمعت صوت محرك سيارة حمراء اللون تصل إلى الطريق الخاص للفيلا. رأت أنطونيا تجلس وراء المقود، وهي توقف السيارة بجانب الفيلا، مؤكدة أن وجودها هنا مألوف جداً. غاص قلب بروني، وهي تراقب المرأة الأخرى تمرر يدها عبر شعرها الأسود المجعد، وتضيف لمسة من أحمر الشفاه على شفتيها، قبل أن تنزل من السيارة. الثوب الأبيض الناعم الذي ترتديه يناسب بشرتها السمراء الناعمة، ويظهر مدى تناسق جسمها وجماله. في المقابل، شعرت بروني أنها باهتة جداً وغير أنيقة، فقد ارتدت قميصاً أبيض فضفاضاً فوق ثوب السباحة بعد أن سبحت لبعض الوقت في البركة مع ميشيل. بدا شعرها الرطب بعيداً عن وجهها، وملتصقاً ببعضه ككومة واحدة، كما أن وجهها خال من أي مساحيق زينة. وقفت ما إن اقتربت أنطونيا، وهي تتنقل على مهل متهادية بدلال، منتعلة حذاء ذا كعبين عاليين.

قالت بروني بتهذيب: «أخشى أن أقول لك إن أليخاندرو ليس هنا الآن، آنسة روج!».

هزت المرأة الأخرى رأسها بتفهم، قائلة: «إنه في بالما اليوم».

إن كان أليخاندرو قد أخبر أنطونيا بذلك، فما الذي تفعله هنا إذاً؟

- هل أستطيع تقديم العصير لك؟

أشارت بروني إلى إبريق عصير البرتقال الطازج، الذي أحضرته ماريا منذ دقائق فقط من أجلها وميشيل. في الواقع، هي لا تريد أن تبقى المرأة فترة أطول مما ينبغي، لكنها سرعان ما أدركت أن لدى أنطونيا أفكاراً أخرى.

- لا بأس! سأقبل بذلك.

هزت أنطونيا رأسها، قبل أن تجلس على أحد المقاعد الطويلة بجوار بروني. أخفت عينيها تحت نظارتين شمسيتين داكنتي اللون. ما إن نظرت نحو ميشيل، الذي كان يرمي قطعاً نقدية معدنية في البركة، قبل أن يغطس في الماء لالتقاطها، حتى قالت: «إنه يشبه أليخاندرو كثيراً. أليس كذلك؟».

لم يكن ذلك سؤالاً، بل إقراراً بواقع مؤكد.

- أجل!

ماذا يمكن لبروني أن تقول غير ذلك؟ فالشبه بين الأب والابن لا يقبل الجدل.

- شكراً لك!

قالت أنطونيا ذلك وهي تأخذ كوب العصير، قبل أن تضعه على الطاولة من دون أن تتذوقه. بدت أظافرها الطويلة مطلية بلون أحمر يماثل تماماً لون شفتيها. قالت على نحو مفاجئ ومن دون أي مقدمات مهذبة: «هل ميغيل هو ابن أختك؟».

تزايد توتر بروني من هذه الزيارة غير المتوقعة، وقالت: «بل في الواقع، ابن زوجة أخي».

- زوجة أخيك؟

هزت بروني رأسها، وأجابت: «الأمر معقد قليلاً. لكن، أجل. جوانا كانت زوجة أخي».

كورت أنطونيا شفتيها قليلاً، قبل أن تقول: «أليخاندرو قلق جداً على ميغيل، وهو يريده أن يتأقلم في حياته الجديدة بأسرع وقت ممكن».

بدا واضحاً أنها قررت ألاّ تناقش موضوع علاقة بروني بميشيل. بدأت بروني تشعر بالانزعاج من هذا الحوار. أجابت من دون أي تعليق: «أجل».

رفعت أنطونيا كتفيها العاريتين قليلاً، وتابعت: «لذا من الأفضل أن يمضي ميغيل وقتاً أطول مع أشخاص يشبهونه ويشبهون والده».

تساءلت بروني بحذر، ماذا تعني بقولها بالتحديد... هل تقصد الناس في المغرب أم في إسبانيا؟ مهما يكن، بروني ليست منهم بالتأكيد. أجابت بصدق: «لم يقل أليخاندرو ذلك».

قال لها بوضوح إنه لا يريدها هنا، لكن ليس لهذا السبب. قالت لها أنطونيا، وهي تبتسم بدهاء: «أليخاندرو هو خير كابالرو، كما تعلمين».

ثم شرحت لبروني ما قالته: «إنه سيد نبيل لطيف».

تعرف بروني ماذا تعني كلمة كابالرو، لكنها لا توافق على أن أليخاندرو هو كذلك. مع العلم أنها قد لا تكون منصفة، فأليخاندرو شديد الاهتمام بكل من يعمل معه، وهو مهذب جداً مع موظفيه، ولذلك يحصل منهم على الولاء المطلق، وربما على الحب أيضاً مقابل ما يقدمه. لكن يبدو أن الشخص الوحيد الذي يعاني مشاكل في التعامل معه بتهذيب هو بروني نفسها. على أي حال، هي لا تقدر تدخل هذه المرأة وتلميحاتها، أو حقيقة أن أليخاندرو بحث هذا الموضوع مع أنطونيا، ما دفعها للتدخل. قالت لأنطونيا بانزعاج: «لو أن أليخاندرو يرغب في تغيير ما اتفقنا عليه، لأخبرني بنفسه».

أليخاندرو أخبرها منذ البداية أنه لا يريدها هنا، لكنها اختارت أن تتجاهل ذلك. يبدو بوضوح الآن، أنه تحدث بالموضوع مع أنطونيا، بهدف اللجوء إلى من يعزز موقفه.

علقت المرأة الأخرى بنبرة ناعمة، برغم مرارة ما تقوله: «هذا أمر صعب قليلاً في هذا الظروف. أليس كذلك؟ كما أن الأمر سيبدو أقل إزعاجاً إن تحدثت امرأة إلى امرأة بهذا الموضوع. أتوافقين على ذلك؟».

تضاعف كره بروني لهذه المرأة الجميلة الماكرة، مع كل لحظة تمر. تماماً كتضاعف غضبها من أليخاندرو، لأنه بحث هذا الأمر مع المرأة التي يبدو أنها عشيقته، والتي لا يريدها حتى أن تصبح زوجته. قالت بنبرة حازمة، وهي تقف: «آسفة، آنسة روج! أتفهم أنك وأليخاندرو صديقان، لكن لا رغبة لي مطلقاً في التحدث عن موضوع خاص كهذا مع امرأة بالكاد أعرفها».

حدقت بأنطونيا بغضب متعمد، وكأنها تخبرها بذلك أن عليها المغادرة. وقفت أنطونيا ببطء، من دون أن تتأثر مطلقاً بما سمعته. مررت يدها فوق ثوبها الأبيض الناعم، لتسوي أطرافه على ساقيها، وقالت: «كنت أحاول أن أكون لطيفة آنسة سوليفان».

تابعت بصوت أجش، وهي تبتسم بهدوء: «كما قلت لك من قبل... أليخاندرو رجل نبيل جداً، ولن يتحدث إليك بهذه الصراحة».

ابتسمت بروني لها بسخرية، وقالت بضيق: «ليست تلك تجربتي معه حتى الآن! إن كنت لا تمانعين، أرغب في الذهاب مع ميشيل في نزهة هذا الصباح».

حدقت أنطونيا بها قائلة تنصحها: «عليك أن تكوني حذرة من التعرض بكثرة لأشعة الشمس، آنسة سوليفان. البشرة السمراء الذهبية جميلة جداً، لكن مع بشرتك البيضاء، من المؤكد أنك ستحترقين».

متى بالتحديد تحدث أليخاندرو مع هذه المرأة عنها؟ أبعد أن ترك غرفة نومها ليلة البارحة أم أن هذا أول ما فعله عند الصباح؟ حسناً! إن ظن أن الطلب من صديقته أن تأتي إلى هنا، لتتحدث إليها سيقنعها بالرحيل، فهو سيصاب بخيبة أمل شديدة. ما حدث جعلها أكثر إصراراً على البقاء، وما فعلته أنطونيا أثر بها بشكل سلبي جداً.

٨ - أنت تزعجني!

- كيف تجرؤ على الطلب من تلك المرأة أن تأتي إلى هنا، لتقول لي إنك تريدني أن أرحل؟

أمضى أليخاندرو يوماً طويلاً في بالما، وهو يجري المزيد من المفاوضات مع فليبي روج. سئم من تلك المناورات التي يقوم بها فليبي، لدرجة أنه حذّر ذلك الرجل العجوز أنه سينسحب مع الاتفاق المتحمل، إن لم يتم التوافق على البنود التي قدمها له. أخذ فليبي تحذيره على محمل الجد، بدليل أنه أمضى النهار كله مع أليخاندرو.

فضل أليخاندرو العودة إلى الفيلا مباشرة، بعد أن ظهر بوضوح أن لا أمل في الوصل إلى اتفاق اليوم، لكن أصر فليبي أن يتناولا العشاء معاً، ليثبت له أنهما ما زالا صديقين. وبما أن أليخاندرو ما زال راغباً في شراء قطعة الأرض التي يملكها فليبي، فهو لا يريد أن يفعل أي شيء آخر، قبل أن يرى توقيع فليبي على عقد البيع.

أخيراً عاد إلى الفيلا عند الساعة التاسعة والنصف من ذلك المساء. ذهب مباشرة إلى الجناح الخاص ببركة السباحة، ليبدل ثيابه ويرتدي سروالاً أسود قصيراً للسباحة، قبل أن يغطس مباشرة في المياه المنعشة، ويسبح لمرات عدة في البركة، وهكذا شعر أن طباعه بدأت تهدأ. أما الشجار مع بروني فهو آخر ما يريده الآن. أراح

ذراعيه على حافة البركة، وهو يرفع نظره إليها. أخذ عدة لحظات ليحدق بإعجاب بها، فهي ترتدي فستاناً أزرق بلون السماء، وتقف حافية القدمين. تركت شعرها ينسدل على كتفيها، وبدا وجهها جميلاً جداً، برغم النظرة الغاضبة التي تلمع في عينيها، وتسبب تورد خديها. إنه جمال غاضب بدأ أليخاندرو يعتاد عليه.

- لا فكرة لدي مطلقاً عما تقولينه، بروني! وبصراحة، في هذه اللحظة لا أريد أن أعرف.

تنهد أليخاندرو ورفع يده كإشارة منه لتصمت، قبل أن يتابع: «أنا متعب ومليء بالغبار بعد يوم محبط في بالما، لذا أريدك أن تنتظري لعدة دقائق، قبل أن تتابعي هذه المحاضرة المسهبة، لأنني أفضل أن أشرب كوباً من الشراب البارد».

خرج بسرعة من المياه.

انحبست أنفاس بروني على الفور، ما إن رأت هذه القامة الفارعة أمامها. بدت بشرة أليخاندرو سمراء بالكامل، من ساقيه الطويلتين حتى كتفيه العريضتين وصدره المليء بالعضلات المشدودة ومعدته المسطحة. أبعدت نظرها عنه، لكنها لم تستطع مقاومة النظر من جديد إليه، وهو يسير نحو البراد ليأخذ زجاجة من الشراب البارد. ثم يضع كوبين على الطاولة الموضوعة في الزاوية.

يا إلهي! إنه حقاً أكثر الرجال وسامة وجاذبية. رفع الزجاجة ليسألها: «أتريدين القليل منه؟».

لِم لا؟ هي ليست متعبة أو مليئة بالغبار، لكنها بالطبع بحاجة إلى شراب بارد ليهدئ أعصابها. انتظارها لعودة أليخاندرو إلى الفيلا كان أمراً متعباً. توترها تضاعف لأنه لم يرجع في الوقت المناسب، وهي لم ترغب في الذهاب إلى فراشها قبل أن تتحدث إليه.

أما الآن، فهي تشعر بتوتر شديد، كما أن أعصابها أخذت تتراقص

بسبب تصارع عواطفها. انحسر شعره الأسود الرطب إلى الوراء، ما جعل ملامح وجهه المتغطرسة الوسيمة تشعرها بجفاف في فمها.

وافقت بتكلف، وهي تأخذ الكوب منه: «شكراً لك، لكن أنت...».

- دعيني على الأقل أرشف منه، قبل أن تبدأي من جديد!

قال أليخاندرو ذلك، وهو يجلس بتعب على أحد المقاعد الطويلة، غير مهتم برطوبة جسده وشعره. رشف عدة مرات قبل أن يرفع نظره إليها، ويقول بنبرة ساخرة: «يمكنك الآن المتابعة».

رمته بروني بنظرة غاضبة، وقالت بازدراء: «يسعدني أنك تجد كل ما يجري مضحكاً أليخاندرو».

حاولت بيأس أن تستعيد إحساسها بالغضب الذي كانت تشعر به نحوه. لكنها وجدت من الصعب أن يحدث ذلك ما دامت برفقة هذا الرجل الوسيم. وبخت نفسها بنفاد صبر. كفى، بروني! أليخاندرو ليس الرجل الأول الذي ترينه مرتدياً سروالاً للسباحة.

لا! لكنه الرجل الأول الذي يجعلها تشعر بمثل هذه الأحاسيس برفقته.

هزت رأسها غير مصدقة، وتابعت بنبرة لاذعة: «أما أنا، فلا أجد أي شيء من هذا مضحكاً».

لا! من الواضح أنها لا تجد الأمر مسلياً. اعترف أليخاندرو بذلك، وهو يحدق بالظلال السوداء تحت عينيها، والتي أصبحت أكثر اسواداً منذ الصباح. كما لاحظ أن فمها يتكور بضيق وغضب، وهو لا يدري ما السبب. ابتسم لها قائلاً: «أنت لا تشرحين ما يزعجك بشكل واضح».

تراجع إلى الوراء على وسادة المقعد، ورشف رشفة أخرى من شرابه. السباحة في المياه الباردة جعلته يشعر بالانتعاش، أما الشراب

فشهي أيضاً، لاسيما بعد ساعات من النقاش العقيم، الذي جعله يشعر بجفاف في حلقه. أدرك وهو يقطب جبينه، أنه لأمر جيد أن يعود إلى المنزل ليجد امرأة جميلة بانتظاره.

سارت بروني بتوتر بجانب البركة، فلاحظ أليخاندرو قدميها الجميلتين.

- أنت لا تصغي! هل من الصعب عليك أن تعود إلى المنزل في الوقت أبكر، لتتمكن من التحدث مع ميشيل، وتتمنى ليلة سعيدة له؟

أغمض أليخاندرو عينيه للحظة، قبل أن ينظر إليها من جديد. هذه المرأة ما زالت تجرؤ على مواجهته بأمور، لا يسمح لأحد غيرها بالتحدث فيها. قال: «الذي عمل عليّ القيام به...».

قالت بروني تتحداه: «وهل كان عملك ناجحاً اليوم؟».

- في الواقع، لا!

اختفى الإحساس بالارتياح الذي شعر به منذ دقائق قليلة. لاحظ الشمس تختفي وراء الأفق. قال: «استمر فليبي في المراوغة بشأن إنهاء الاتفاق».

قالت بروني: «إذاً، ربما عليك أن تبدأ بالمراوغة أنت أيضاً».

أدركت أنهما من جديد يبتعدان عن الموضوع الأساسي. وأنها كلما أمضت المزيد من الوقت برفقة أليخاندرو، كلما خفت غضبها، وأصبحت أكثر تأثراً به.

رفع أليخاندرو حاجبيه متسائلاً: «أستميحك العذر؟».

رفعت كتفيها، قبل أن تشرح له ما قصدته: «هذه الطريقة تنجح عادة مع تلاميذي الأقل اهتماماً وعملاً. كلما تعمدت تجاهلهم، كلما رغبوا أكثر في لفت انتباهي والحصول على اهتمامي».

استمر أليخاندرو في النظر إليها بحيرة لعدة لحظات، ثم ابتسم لها قائلاً: «وهل تصرخين بوجههم، كما تصرخين بوجهي؟».

هل صرخت بوجهه حقاً؟ ربما! أدركت ذلك وهي تجفل من الخجل. كانت بانتظاره لساعات حتى يعود إلى المنزل، وما إن لاحظت حركته في بركة السباحة حتى جاءت تجادله.

- لا! أنا لا أصرخ بهم.

رفع أليخاندرو حاجبيه فقط: «فقط تصرخين بي؟».

حسناً! أجل...

بالرغم من شعرها الأحمر، فهي عادة لا تفقد أعصابها مع الآخرين. في العادة هي مرحة هادئة. أن تصرخ على أحد تلامذتها أو على أي كان، يعني برأيها أن تفقد السيطرة على الوضع. لسوء الحظ! يبدو أنها فقدت السيطرة على الوضع مع أليخاندرو سانتياغو، منذ اللحظة التي صدر فيها الحكم لصالحه في الوصاية على ميشيل. نظرت إليه بخجل، وقالت: «هذا صحيح، فأنت تزعجني».

قاطعها بصوت أجش: «أهذا كل شيء، بروني؟».

وضع كوبه جانباً، ونهض ببطء.

اتسعت عيناها ما إن رأته يسير نحوها، كأنه نمرٌ يقترب من ضحيته. لاحظت ذلك، فيما بدأ قلبها يدق بسرعة.

توقف أليخاندرو على بعد خطوة منها. بدت بروني كأنها مسمرة في مكانها. لم يلمسها... لم يكن بحاجة إلى ذلك. ارتفاع قامته وعرض كتفيه وهو يقف قربها، يحجب عنها كل شيء إلاّ وجوده والحرارة المنبعثة منه. قال يشجعها: «أجل، بروني؟».

لم تستطع الكلام للحظات، ثم قالت: «لا أعرف ماذا تقصد؟».

تنفس أليخاندرو بصوت مسموع، وقال: «آه، بلى! أعتقد أنك تعرفين جيداً عما أتكلم».

تستطيع أن تشم عطره، وهذا يشعرها بالشوق إليه...

تمتم هامساً: «أنت تشعرين بذلك أيضاً. أليس كذلك؟».

سألته بروني بنزق: «أشعر... بماذا؟».

لكنها تعلم بما تشعر... تعلم جيداً...

رفع يده ليمسك بذقنها، ويرفع وجهها إليه، ثم ينظر بعمق إلى عينيها قائلاً: «أتعلمين؟».

تمتم بذلك وعيناه تأسران عينيها، ووجهه على بعد سنتيمترات فقط من وجهها.

- لديك أجمل قدمين رأيتهما.

ليس ذلك ما توقعت بروني أن تسمعه. أصبح الهواء بينهما مشدوداً من شدة الترقب. لدرجة أنها للحظة نظرت إليه بغموض. رمشت بعينيها مرة... مرتين، وقطبت جبينها وهي تسأل: «أقلت إنني... أملك قدمين جميلتين؟».

تمكنت من أن تكرر أخيراً ما قاله بنبرة ضعيفة غير مصدقة. قال أليخاندرو وهو يعانقها: «أجل».

ترنحت بروني بضعف نحوه... وأخيراً تحركت يداها نحو كتفيه القويتين، فإذا هما مليئتان بالعضلات، تماماً كما تخيلت. تأوهت مستسلمة لعناقه، وهو يضع يديه على ظهرها، ويجذبها أكثر نحوه.

تمسكت بروني بكتفيه، ما إن شعرت أن ذلك العناق لن ينتهي. رفعها أليخاندرو بين ذراعيه وحملها ليجلسها على العشب الذي بدا مشبعاً بأشعة الشمس. تحرّكت ذراعاها حوله وهو يجلس على العشب قربها. رفع رأسه لينظر إليها... حوّلت آخر خيوط أشعة الشمس شعرها إلى نار متقدة، تناقض لونها مع العشب الأخضر، أما عيناها فازدادتا زرقة، وبدا فمها مكتنزاً.

حدّق طويلاً بها، فهو يتوق إليها بشدة، ومنذ وقت طويل. أخفض رأسه من جديد، وعانقها هذه المرة عناقاً أكثر عمقاً. أحست بروني أن أوصالها تذوب كالعسل السائل. لم تعد تفكر بأي شيء إلا به

وبالسعادة التي يغمرها بها عناقه. أغمضت عينيها، وتركت يديها ترتاحان على كتفيه.

مرت لحظات عليهما لم يدركا فيها ما حولهما. أخيراً، عندما أنهى أليخاندرو عناقه، قال يحثها: «أخبريني بروني! ماذا تريدين؟».

- أليخاندرو!

كرر بقوة، وهو يلامس عنقها: «أنا أصغي الآن، بروني!».

ارتجفت بروني، فهي لم تعد الآن في حالة من التركيز تسمح لها بالتحدث إليه. رفع أليخاندرو رأسه لينظر إليها، ويقول بصراحة: «هل تريدين أن أعانقك من جديد، بروني؟».

هي لم ترغب بشيء كما ترغب بعناقه في هذه اللحظة. سمعت قلبها يدق بقوة، ويضج في أذنيها. لابد أنه قادر على سماع دقاته هو أيضاً. رطبت شفتيها، وهي تشعر بأنفاسها تنحبس في صدرها من إحساسها بأنها أسيرة هاتين العينين الساحرتين، قالت: «أنا...».

- صه!

جمد أليخاندرو فجأة قربها. رفع رأسه محاولاً أن يصغي، ثم قال: «أسمع صوت محرك سيارة».

ابتعد عنها، فحدقت به مستغربة. هل سمع صوت سيارة حقاً؟ لم تكن بروني مدركة لأي شيء حولها إلا أليخاندرو؛ بدت غارقة في ذلك الإحساس الرائع المسيطر عليها، فكل عصب فيها يرتجف من قوة عواطفها نحوه. على العكس من أليخاندرو، الذي سمع صوت محرك سيارة!

٩ - لن أغادر

- من القادم؟

- لا يهم من القادم.

أجاب أليخاندرو بضيق وهو يقف، وقد أدرك الآن كم أصبحت السيارة قريبة من الفيلا.

لم يكن متأكداً إن كان عليه أن يشعر بالانزعاج أم بالارتياح لهذه المقاطعة. التودد إلى بروني سوليفان ومعانقتها ليسا بفكرة جيدة، بالرغم من شدة رغبته بالقيام بذلك. في الواقع، هذا عمل أكثر غباءً من أي شيء آخر أقدم عليه في حياته كلها... أكثر غباء من علاقته بجوانا منذ سبع سنوات مضت، وأكثر غباء من زواجه من امرأة لم يحبها أو تحبه.

أصبحت نظرة عينيه باردة كالثلج، وهو ينظر إلى بروني التي مازالت جالسة على العشب، مرر يده في شعره الرطب، وهو يسمع السيارة تتوقف في الباحة الخلفية للفيلا. قال بسرعة: «أقترح عليك أن ترتبي مظهرك، ما دمنا سنحظى برفقة عما قريب».

بدأت صدمة بروني تختفي رويداً رويداً الآن، وساعد الهواء البارد على بشرتها بذلك. اعترفت لنفسها بازدراء وهي ترتب ثوبها بأصابع مرتجفة.

www.elromancia.com

ما الذي حدث الآن؟ ما الذي سمحت بحدوثه؟ كانت تتشاجر مع أليخاندرو كما يفعلان عادة، وفي الدقيقة التالية... أغمضت عينيها وهي تشعر بالاحراج متذكرة ما حدث بعد ذلك. كيف سمحت لنفسها بحق السماء بالتعلق بكتفيه ومبادلته العناق بشغف؟

مازال جسدها يرتجف من ذلك الشوق، وهذا يؤكد لها أنها فقدت السيطرة على نفسها بشكل مطلق. يا إلهي! ماذا يمكن لأليخاندرو أن يظن بها؟ هي لا تريد أن تفكر بهذا الأمر الآن، ولا تستطيع أن تفكر فيه... إنها لا تجرؤ على ذلك.

ما إن سمعت وقع أقدام مألوفة لديها على ممر الفيلا، حتى علمت من القادم. في النهاية، أصبحت متأكدة من هوية ضيفة أليخاندرو. إنها ليست سوى الجميلة أنطونيا روج!

نهضت بروني بسرعة لتقف على قدميها المرتجفتين. كانت على بعد خطوات من أليخاندرو، عندما دخلت أنطونيا عبر البوابة المقوسة. إنها جذابة كعادتها! هي ترتدي فستاناً أسود اللون ضيقاً من دون كتفين، يصل إلى ركبتيها مظهراً جمالها. تساءلت بروني، هل كان هذا اللقاء مقرراً من قبل، أم أن أليخاندرو متفاجئ بزيارة المرأة مثلها تماماً؟ بدا ترحيبه حاراً بما فيه الكفاية، وهو يسير نحو المرأة الأخرى، ويتمتم، قبل أن ينحني، ويعانقها مرحّباً بها: «أهلاً بك أنطونيا!».

قطب أليخاندرو جبينه. أزعجه قدوم أنطونيا إلى هنا من دون دعوة، لكنه في الوقت نفسه شعر بالامتنان لها لمقاطعة ما كان يجري. إنه عادة رجل حذر، لاسيما عندما يتعلق الأمر بالنساء، لكن بروني تمكنت بطريقة ما من الانزلاق إليه متخطية كل حذره، وجعلته ينسى، ولو للحظات قليلة، كل المحاذير التي يقولها لنفسه، كي لا يتبع الانجذاب الحسي، الذي يبدو أنه يتنامى بينهما. ابتسم لأنطونيا

قائلاً: «لطف منك أن تأتي لتمضية المساء معي. هل ترغبين بشراب بارد؟».

أرادت بروني أن تغادر وتبتعد من هنا... ضاقت نظرة عيني أنطونيا لرؤيتها، وخف بريقهما، قبل أن تستجمع نفسها بما فيه الكفاية لتبتسم، وتقول بنعومة: «آنسة سوليفان! كم تسعدني رؤيتك من جديد».

ردت بروني باقتضاب: «سينيوريتا روج، إن كنتما تعذرانني!».

ثم أحنت رأسها، وتوجهت بسرعة نحو الفيلا. هذا ما أراده أليخاندرو في الواقع، فهو بحاجة إلى بعض الوقت بعيداً عنها، ليستجمع أفكاره المشتتة. لكن ما إن رأى شحوب وجهها وارتجاف شفتيها والحيرة الواضحة في عينيها الزرقاوين، حتى شعر بالندم لأنه عاملها بهذه الطريقة. ناداها بنبرة عالية: «بروني!».

توقفت بروني بتردد، والدمعة بعينها تكاد تنهمر على خدها. استدارت ببطء قائلة: «أجل؟».

استدار أليخاندرو نحو المرأة الواقفة قربه، وقال: «هل تعذرينني للحظة أنطونيا؟ لدي ما أقوله لبروني قبل أن تذهب إلى غرفتها».

وابتسم لها ابتسامة متكلفة، فرفعت أنطونيا نظرها إليه. ابتسمت بحرارة، ثم كورت شفتيها بدلال، وقالت: «أتفهم ذلك، أليخاندرو! لكن لا تتأخر».

أنهت كلامها وهي تضع يدها الناعمة على خده بمكر. راقبت بروني تلك الملامسة الحميمة بين أليخاندرو وأنطونيا، وهي تشعر بإحساس كبير من الإذلال. ما إن عانقها أليخاندرو، حتى نسيت السبب الذي جعلها تنتظر عودته بنفاد صبر هذا المساء. أرادت أن تعترض على ما قالته هذه المرأة عند الصباح. أما الآن، وهي تشاهد الألفة الواضحة بينهما، ونظرة النصر في عيني المرأة الأخرى وهي

تحدق بها، كأنها تؤكد لها أن لا قيمة لها مطلقاً بوجودها، أدركت أنه فات الأوان على ذلك الاعتراض. سألته بضيق، ما إن أصبح قربها: «ما الذي تريده، أليخاندرو؟».

قطب جبينه، وذكرها: «أنت من كنت ترغبين بالتحدث إلي بشأن أمر ما في وقت سابق!».

كادت بروني تضحك من سخرية القدر؛ فوجود أنطونيا روج هنا، يؤكد على الرغم من إنكار أليخاندرو أن لديها تأثير كبير عليه، لدرجة أنه غير قادر على رفض أي شيء تفعله أو تقوله. لاسيما إذا تعلق الأمر ببروني، التي تعتبر ضيفة غير مرحب بها في منزله. تنهدت قائلة: «لا أهمية للأمر».

ضاقت نظرته، وهو يسألها: «بدا لي مهماً بما فيه الكفاية لتوبخيني بالكلام كما فعلت قبل قليل».

ضحكت بروني بلا أي مرح، وقالت: «أنا دائماً أوبخك بكلامي أليخاندرو، أم أنك لم تلاحظ ذلك بعد؟».

آه، بلى! لاحظ ذلك بالطبع. وهذا ما يجعل بروني مختلفة جداً عن أي امرأة عرفها من قبل. لم تجرؤ أي واحدة منهن، حتى زوجته فرانسيسكا، على التحدث إليه بالطريقة التي تقوم بها بروني.

أضافت بروني كأنها تطلب منه الانصراف: «من فضلك! ارجع إلى الآنسة روج. أنا متأكدة أنها الوحيدة القادرة على إسعادك والتخفيف عنك بعد يومك الشاق المليء بالمشاكل».

رفعت عينيها الزرقاوين إليه، كأنها تتحداه.

شعر أليخاندرو بالندم يجتاحه لأنه تعمد إزعاجها، بعد ذلك التقارب الذي حدث بينهما منذ وقت قصير، بما أظهره من علاقة حميمة مع أنطونيا، لكنه يعلم أن ذلك أفضل لكليهما. هو لا يملك ما يستطيع تقديمه لامرأة مثل بروني، وهو بالتأكيد لا يمكن أن يرتبط بها

بعلاقة دائمة.

أجاب بسخرية: «أنا متأكد أنها ستفعل».

أضاف ببرودة مؤذناً لها بالانصراف: «عمت مساء، بروني!».

واستدار ليعود إلى حيث تنتظره أنطونيا.

أسرعت بروني بالاستدارة، عندما رأت أنطونيا تقترب من أليخاندرو، وتتمتم بكلمات ناعمة له، قبل أن يتشاركا بالضحك معاً. هل يضحكان منها... أم أنها ببساطة تتخيل ذلك؟ تقبلت ذلك بصعوبة، وهي تصعد على الدرج ببطء. ربما يملك أليخاندرو صفات سيئة كثيرة، لكنها تشك أنه رجل يتحدث أو يتباهى بعلاقاته، لاسيما مع امرأة أخرى.

على الأقل، وصول أنطونيا منعها من أن تجعل نفسها حمقاء بالمطلق. اعترفت بروني وهي تضغط على أسنانها، ما إن سمعت ضحكة المرأة المغناج لمرات عدة، وهي تجلس في غرفة نومها، محاولة من جديد أن تشغل نفسها بالكتاب الذي أحضرته معها. بالطبع! لم تنجح في القيام بذلك، فأفكارها راحت تشكل صوراً ذهنية لأليخاندرو وأنطونيا، وما يفعلانه عندما يتوقفان عن الضحك. رمت الكتاب على السرير، ووقفت متعمدة ألاّ تقترب من النافذة، وهي تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. هي لا ترغب أبداً بأن يعتقد أليخاندرو أو أنطونيا أنها تتجسس عليهما.

يا إلهي! كم ترغب في الغطس في بركة السباحة، فهي تشعر بحرارة ملتهبة بسبب الذكريات المتعلقة بوجودها بين ذراعي أليخاندرو. تعرفت بروني على عدد من الأصدقاء، وخرجت معهم في أكثر من موعد، لكنها لم تشعر يوماً بمثل هذه الحاجة لأي منهم أو التعلق بهم. أما مع أليخاندرو، فهي لا تزال تشعر بالشوق ذاته حتى بعد مرور ساعات. شعرت بأعصابها تضطرب ما إن سمعت من جديد

ضحكة أنطونيا. رمت بنفسها على السرير، ووضعت الوسادة فوق رأسها، لتبعد ذلك الصوت عن سمعها. ستتمكن من التخلص من هذا الإعجاب السخيف، بأليخاندرو. هذا ما ستفعله بالتأكيد!

* * *

سألها أليخاندرو بتهذيب، ما إن انضمت إليه عند الصباح لتناول الفطور: «ما الذي ترغبين في القيام به اليوم؟».

إنه يتعمد أن يتصرف كأفضل مضيف نحو زائرته، بعد ذلك التصرف المتهور مساء البارحة، فهكذا سيعيد علاقتهما إلى ما كانت عليه في السابق من التعامل الرسمي.

بدت بروني أكثر تحفظاً هذا الصباح، وهي تنظر إليه ببرودة. قميصها القطنية البيضاء مع سروالها المصنوع من قماش الكتان يناسبان قامتها النحيلة الرشيقة، أما شعرها الأحمر فقد رفعته إلى أعلى رأسها. ضحكت باستياء، وهي تقول: «أنت حقاً لست بحاجة إلى التظاهر بالاهتمام بما أفعله أليخاندرو، فكلانا نعلم أنني هنا فقط بالإكراه!».

قطب أليخاندرو جبينه بسبب نبرة بروني الغاضبة المتوترة، ذلك التوتر الذي أثر سلباً بقراره السابق بأن يضع مسافة بينهما.

- بما أنك قريبة ميشيل، فأنا بالطبع أدين لك بكثير من الامتنان بسبب الطريقة التي...

صححت له بنبرة قوية حادة، وهي تضع فنجان القهوة فوق الطاولة: «أنا قريبة ميشيل من خلال زواج أخي بأمه، وإن كان هناك من شيء قمت به من أجل ميشيل، فذلك بسبب حبي له، وأنا متأكدة أنك تعلم ماذا تستطيع أن تفعل بامتنانك!».

أعلمها أليخاندرو بوضوح كلي ليلة البارحة أنه نادم على التصرف الذي قام به، لكن بروني نادمة أكثر منه، وهو ليس بحاجة ليعاملها

بتهذيب مبالغ فيه هذا الصباح، ليوضح لها تلك النقطة.

قطب أليخاندرو جبينه، وقال: «بالكاد كنت...».

قاطعته بغضب: «لست مهتمة لما ستقوله، أليخاندرو!».

دفعت كرسيها إلى الوراء راغبة في النهوض، لكن أليخاندرو منعها من ذلك، إذ مدّ يده وقبض على يدها. ارتجفت بروني وسألت: «ما الذي تفعله؟».

ما الذي تفعله هي مع هذا الرجل المتقلب المزاج؟ اعترف أليخاندرو لنفسه بضيق، أن لا فكرة لديه، فكل ما يعلمه أنه يشعر بحاجة ليمنع بروني من المغادرة، فيما الأمور متوترة بينهما على هذا النحو. رفع يده، ووضع مرفقيه على الطاولة، وهو يشبك أصابعه ببعضها. قال يذكرها بصوت مضطرب: «أردت أن تقولي لي شيئاً ما ليلة البارحة».

رمته بروني بنظرة كره، وهي تقول: «أنا متأكدة أن أنطونيا كانت متلهفة جداً لتخبرك كل شيء عن محادثتنا القصيرة صباح الأمس، ما إن تركتكما».

ما علاقة أنطونيا بما كان يزعج بروني، عندما وصل إلى المنزل مساء البارحة؟ ما قالته بروني ليلة أمس... شيء ما يتعلق بأن تلك المرأة تريدها أن ترحل! تذكر ذلك وهو يعبس. كان متعباً ومتوتراً في ذلك الوقت، اعتقد أن غضب بروني ما هو إلا سوء تفاهم جديد بينهما، لكن ذكرها لأنطونيا يضع لكل ما تضمنه كلامها سبباً واضحاً. أنطونيا هي المرأة التي كانت تتكلم عنها بروني!

أصبحت نظرة أليخاندرو حذرة وهو ينظر إلى بروني، التي أصبحت غاضبة من جديد. بدا وجهها متورداً من شدة التوتر، وعيناها تلمعان من شدة العاطفة. قال ببطء: «أفضل أن أسمع ما جرى منك».

ضحكة أنطونيا. رمت بنفسها على السرير، ووضعت الوسادة فوق رأسها، لتبعد ذلك الصوت عن سمعها. ستتمكن من التخلص من هذا الإعجاب السخيف، بأليخاندرو. هذا ما ستفعله بالتأكيد!

* * *

سألها أليخاندرو بتهذيب، ما إن انضمت إليه عند الصباح لتناول الفطور: «ما الذي ترغبين في القيام به اليوم؟».

إنه يتعمد أن يتصرف كأفضل مضيف نحو زائرته، بعد ذلك التصرف المتهور مساء البارحة، فهكذا سيعيد علاقتهما إلى ما كانت عليه في السابق من التعامل الرسمي.

بدت بروني أكثر تحفظاً هذا الصباح، وهي تنظر إليه ببرودة. قميصها القطنية البيضاء مع سروالها المصنوع من قماش الكتان يناسبان قامتها النحيلة الرشيقة، أما شعرها الأحمر فقد رفعته إلى أعلى رأسها. ضحكت باستياء، وهي تقول: «أنت حقاً لست بحاجة إلى التظاهر بالاهتمام بما أفعله أليخاندرو، فكلانا نعلم أنني هنا فقط بالإكراه!».

قطب أليخاندرو جبينه بسبب نبرة بروني الغاضبة المتوترة، ذلك التوتر الذي أثر سلباً بقراره السابق بأن يضع مسافة بينهما.

- بما أنك قريبة ميشيل، فأنا بالطبع أدين لك بكثير من الامتنان بسبب الطريقة التي...

صححت له بنبرة قوية حادة، وهي تضع فنجان القهوة فوق الطاولة: «أنا قريبة ميشيل من خلال زواج أخي بأمه، وإن كان هناك من شيء قمت به من أجل ميشيل، فذلك بسبب حبي له، وأنا متأكدة أنك تعلم ماذا تستطيع أن تفعل بامتنانك!».

أعلمها أليخاندرو بوضوح كلي ليلة البارحة أنه نادم على التصرف الذي قام به، لكن بروني نادمة أكثر منه، وهو ليس بحاجة ليعاملها

بتهذيب مبالغ فيه هذا الصباح، ليوضح لها تلك النقطة.

قطب أليخاندرو جبينه، وقال: «بالكاد كنت...».

قاطعته بغضب: «لست مهتمة لما ستقوله، أليخاندرو!».

دفعت كرسيها إلى الوراء راغبة في النهوض، لكن أليخاندرو منعها من ذلك، إذ مدّ يده وقبض على يدها. ارتجفت بروني وسألت: «ما الذي تفعله؟».

ما الذي تفعله هي مع هذا الرجل المتقلب المزاج؟ اعترف أليخاندرو لنفسه بضيق، أن لا فكرة لديه، فكل ما يعلمه أنه يشعر بحاجة ليمنع بروني من المغادرة، فيما الأمور متوترة بينهما على هذا النحو. رفع يده، ووضع مرفقيه على الطاولة، وهو يشبك أصابعه ببعضها. قال يذكرها بصوت مضطرب: «أردت أن تقولي لي شيئاً ما ليلة البارحة».

رمته بروني بنظرة كره، وهي تقول: «أنا متأكدة أن أنطونيا كانت متلهفة جداً لتخبرك كل شيء عن محادثتنا القصيرة صباح الأمس، ما إن تركتكما».

ما علاقة أنطونيا بما كان يزعج بروني، عندما وصل إلى المنزل مساء البارحة؟ ما قالته بروني ليلة أمس... شيء ما يتعلق بأن تلك المرأة تريدها أن ترحل! تذكر ذلك وهو يعبس. كان متعباً ومتوتراً في ذلك الوقت، اعتقد أن غضب بروني ما هو إلا سوء تفاهم جديد بينهما، لكن ذكرها لأنطونيا يضع لكل ما تضمنه كلامها سبباً واضحاً. أنطونيا هي المرأة التي كانت تتكلم عنها بروني!

أصبحت نظرة أليخاندرو حذرة وهو ينظر إلى بروني، التي أصبحت غاضبة من جديد. بدا وجهها متورداً من شدة التوتر، وعيناها تلمعان من شدة العاطفة. قال ببطء: «أفضل أن أسمع ما جرى منك».

قالت بانزعاج، وهي تقف لتنظر إليه محدقة إلى الأسفل: «حسناً! لا رغبة لدي لأرضي فضولك، يكفي القول إنني لن أغادر قبل انقضاء الشهر، ولا شيء يمكن أن تقوله، أو تفعله، أو تقوله صديقتك وتفعله، سيجعلني أغادر قبل ذلك. أهذا واضح بما فيه الكفاية؟».

اعترف أليخاندرو، وهو يحاول أن يفهم ما تقوله: «واضح جداً!».

أتت أنطونيا إلى هنا البارحة أثناء وجوده في بالما، في حين أنها تعلم أنه مشغول في لقاء مع والدها، لكن ماذا قالت لبروني بالتحديد؟ مهما يكن ما قالته، فهو منزعج جداً من أنطونيا، لأنها تعتقد أن لديها الحق لتأتي إلى هنا أثناء غيابه، وتقول أي شيء خاص وشخصي لبروني. صحيح أنه استعمل وصولها غير المتوقع مساء البارحة كوسيلة لإنهاء ذلك الوضع المتوتر بينه وبين بروني، ما منح بروني فكرة خاطئة عن علاقتهما، لكن الحديث الذي جرى بين المرأتين حدث قبل ذلك.

- ربما أسأت فهم أنطونيا، فلغتها الإنكليزية ضعيفة، ولا تجيد التعبير بها.

- آه! أنت تفضل أن تعتقد هذا. أليس كذلك؟

هزت بروني رأسها بانزعاج، وهي تتابع: «من الصعب تصديق ذلك، وهي تقول عنك إنك السيد النبيل. كيف يكون ذلك صحيحاً، وأنت تطلب من عشيقتك أن تأتي إلى هنا لتخبرني أن من الأفضل أن أغادر؟».

أظلم وجه أليخاندرو من الانزعاج. قال ببرودة: «أنطونيا ليس عشيقتي، وأنا لم أطلب منها أن تأتي إلى هنا لتتحدث معك بهذا الموضوع...».

علقت بروني باستياء: «بالطبع، لم تفعل!».

أنهى أليخاندرو كلامه بحزم: «... أو أي موضوع آخر».

رمى أليخاندرو منديل الطعام على الطاولة، قبل أن ينهض. بدا وسيماً جداً وهو يرتدي قميصاً قصيرة الكمين. ضغط يديه على جبينه، وقال مؤكداً لها ببرودة: «مهما يكن، أؤكد لك أن أنطونيا لن تتحدث إليك بهذه الطريقة من جديد. كما أنني أعتذر نيابة عنها بسبب أي سوء تفاهم نشأ بينكما».

أكدت له بروني، وهي تهز رأسها باستياء: «لم يكن هناك أي سوء تفاهم. أنا متأكدة أنها لن تمتن لك، لأنك افترضت أن هناك سوء تفاهم!».

ضغط على أسنانه بقوة، فهو لا يسمح لأحد أن يتصرف بهذه الطريقة التي تقول بروني إن أنطونيا روج أقدمت عليها البارحة. قال لها بنبرة رسمية: «سآخذ ميغيل معي اليوم. ربما ترغبين في تزويده بثوب السباحة وحقيبته، بينما أطلب من ماريا أن تعد لنا غداء لنتناوله أثناء النزهة؛ أما أنت، فبإمكانك بالطبع أن تستعملي إحدى السيارات في المرآب للذهاب في النزهة، التي أردت القيام بها البارحة».

لم يقترح عليها أن ترافقهما! لاحظت بروني ذلك وهي تشعر بإحساس من الألم يسيطر عليها. علمت أن أحاسيسها المتألمة بسبب استبعادها من النزهة ليست منطقية، لاسيما بعد تعليقها البارحة لأليخاندرو أنه لا يمضي أي وقت برفقة ابنه الصغير، لكنها في الوقت نفسه تشعر أنه تم إقصاؤها. ميشيل مازال متوتراً قليلاً في علاقته مع الرجل الذي هو والده، ولابد أنه يرحب بحضورها في تلك النزهة، وهذا يعني أن أليخاندرو لا يريدها معهما. هذا لا يفاجئها في الواقع! تقبلت ذلك بالرغم عنها، فهما لم يكونا يوماً متفقين. أليس كذلك؟

توقف أليخاندرو عند الباب، وقال على نحو مفاجئ مؤكداً لها: «من الأفضل أن تضعي تعليقات أنطونيا خلفك، بروني! انتهى الأمر

بشكل نهائي».

ثم استدار بسرعة، وسار بخطى واسعة ليخرج من غرفة الطعام.

حدقت بروني به وهو يغادر، وقطبت جبينها مفكرة. «انتهى الأمر... بشكل نهائي»... هل قصد علاقته مع أنطونيا روج أم فقط مجرد تدخل المرأة في أموره الشخصية؟

أليس هذا أيضاً أمراً آخر يعتبر أليخاندرو أنه لا يعنيها؟

١٠ - لعبة الحياة والموت

رغبة منها في تحديه لا في الخروج بمفردها، أخذت بروني سيارة، بعد أن غادر ميشيل مع والده في سيارة المرسيدس. اختارت سيارة يمكن كشف سطحها بسهولة، وهكذا تتمكن من الاستمتاع بأشعة الشمس الجميلة. وصلت إلى بالما، وأوقفت السيارة قبالة البحر، ثم سارت عبر الميناء، وهي تنظر إلى اليخوت الرائعة الراسية هناك. بدا لها أن بعضها أكبر من الشقة التي تعيش فيها في بلادها. عدد كبير منها يحتوي على منصة لطائرة عمودية. اشترت سندويشاً للغداء، ووجدت مكاناً على الشاطئ لتجلس وتستمتع بتناوله، بجانب عدد من السياح الذين كانوا جالسين أو ممددين قرب المياه الرائعة في ذلك المنتزه الجميل. سارت بعدئذٍ إلى داخل المدينة لتجلس على شرفة مقهى، وتتناول فنجاناً من القهوة، قبل أن تتجول من جديد في الكاتدرائية.

ميشيل بعمره الصغير كان ليستمتع بالتفرج على اليخوت لمدة قصيرة، لكن ما كان ليجد أي اهتمام بالكاتدرائية، لذا شعرت أن من المفيد لها أن تأخذ هذا النهار لنفسها. مع ذلك شعرت بروني بالوحدة. لم تستطع إلا أن تتساءل، إلى أين أخذ أليخاندرو ابنه طوال النهار. تمنت بصدق أن يأخذ أليخاندرو عمر ميشيل بالحسبان،

www.elromancia.com

ويعرف إلى أين سيصطحبه. هذا الأمر لا يعنيها بالطبع، لكنها أصبحت حذرة مع مرور الوقت. لابد أنها ستشعر بالسعادة ما إن تعود إلى المنزل وتعلم أن ميشيل أمضى نهاراً ممتعاً برفقة والده.

عادت إلى الفيلا وقد تجاوزت الساعة الخامسة قليلاً، لتجد أنهما عادا أيضاً منذ وقت قصير جداً. في الواقع، لم يكن هناك من داع لقلقها، فحماس ميشيل أثناء حديثه عن المنتزه المائي الذي أخذه والده إليه خير دليل على سروره، لكن ما لم تتقبله هو وجود أليخاندرو سانتياغو المتكبر المتحفظ في منتزه مائي عام مليء بالأطفال والسياح.

هي بحاجة إلى بعض الوقت لتعتاد على تلك الفكرة!

- ليس هذا ما توقعته؟

سألها أليخاندرو بصراحة، وهو يرفع حاجبه بسخرية، بينما قفز ميشيل أمامهما سعيداً، وهو يتجه نحو المطبخ ليطلب من ماريا قطعة بسكويت وكوباً من عصير البرتقال الطازج.

لا، في الواقع! اعترفت بروني لنفسها وهي تتردد في الانضمام إليه، حيث جلس مرتاحاً قرب البركة. في النهاية هو لم يرغب برفقتها طوال النهار، وما من سبب يدعوها للافتراض أن هذا ما يريده الآن. هذا تصرف طفولي من قبلها! وبخت نفسها على الفور. سواء رغب أليخاندرو برفقتها أم لا، فهو مجبر على تحمل وجودها طوال الأسابيع الثلاثة القادمة وبقية هذا الأسبوع. لا رغبة لديها في الابتعاد والتخفي في كل مرة يكون فيها بالفيلا. قالت بصدق: «أنا متأكدة أنكما أمضيتما وقتاً رائعاً».

سحبت أحد الكراسي لتجلس عليه، فساقاها متعبتان من كثرة التجوال هذا اليوم.

ابتسم أليخاندرو قبل أن يقول بنبرة هادئة، تحمل شيئاً من العاطفة

والحزن: «استمتعت كثيراً، وأنا أراقب ميغيل، يلعب، ويقفز من الفرح، فهو صبي يضج بالحيوية والنشاط».

هزت بروني رأسها، وعلقت: «أجل! إنه كذلك».

تمتم أليخاندرو بلطف: «أعلم أن سبب ذلك هو حرص جوانا وأخيك على تربيته... وكذلك عائلتك أيضاً».

تورد وجهها قليلاً من الخجل، فيما قالت: «آه! لا أعتقد أن لنا دوراً فعالاً في ذلك. عملت جوانا على تربيته ليكون صبياً سعيداً وغير مدلل قبل تعرفنا عليه».

- كانت أماً صالحة.

قال ذلك بصدق، فهو يعلم ذلك من خلال ما شاهده من أفعال ميغيل، وما سمعه من كلامه.

أكدت له بروني بدون أي تردد: «بل الأفضل، ويبدو أنها لم تجد صعوبة على الإطلاق في تولي مهام عملها كمحامية ناجحة جداً ودورها كأم لميغ... لميشيل».

كانت جوانا في الرابعة والعشرين من عمرها عندما التقت بأليخاندرو، وقد أنهت اختصاصها، هي تمضي سنة بعيداً عن العمل والدراسة، لتسافر حول العالم قبل أن تبدأ بالعمل. أسعده أن يعلم أنها كانت ناجحة في العمل الذي كانت تحبه كثيراً. هز رأسه قائلاً: «كانت قوية الإرادة، وإيجابية جداً في نظرتها للأمور. لاسيما في ما يتعلق بما تريد أن تفعله بحياتها».

سمعت بروني نبرة من الحزن في صوته، فهو لا يصدق أن ذلك التصميم وتلك الإرادة القوية زالا من الوجود بحادث واحد.

- يسعدني أنها نجحت في حياتها.

أجابت بروني: «أجل! نجحت بالفعل».

شعرت بالضيق من هذا الحوار وفي هذه الظروف المقلقة، علم

أليخاندرو ذلك بذكائه الخارق، فسألها: «أتجدين اهتمامي بحياة جوانا أمراً غريباً؟».

رفعت كتفيها قليلاً، واعترفت: «أجل! قليلاً».

رفع أليخاندرو كتفيه العريضتين. من الواضح أنه أمضى نهاراً سعيداً برفقة ميشيل، ووضع توترهما السابق عند الصباح جانباً، إن لم تقل أنه نسيه كلياً. قال: «كانت أم ابني، بالطبع أشعر بالاهتمام لمعرفة إن كانت سعيدة بحياتها أم لا».

أخبرته بروني بنبرة دفاعية: «كانت هي وطوم سعيدين جداً معاً».

هز أليخاندرو رأسه معترفاً بذلك: «أعرف ذلك أيضاً. تحدث ميغيل عن أمه وأبيه معظم النهار».

جمدت بروني مكانها قائلة: «أفعل ذلك حقاً؟».

رفع أليخاندرو حاجبه متسائلاً: «هل يفاجئك الأمر؟».

أجل يفاجئها كثيراً! باستثناء الليالي التي كان يستيقظ فيها ميشيل من كابوس ما، ويصرح منادياً أمه وأبيه، فهو لم يتحدث مطلقاً عن جوانا وطوم، حتى إنه لم يبكهما. بروني ليست طبيبة نفسية، لكنها تشعر أنه بعدم التحدث عنهما، يعتقد ميشيل أنه بطريقة ما يستطيع إبعادهما عن أفكاره، وكأنهما غير موجودين. بطريقة ما، يعتقد الصبي أنهما يوماً ما سيدخلان من الباب، ويعودان إلى الوجود.

تعلم بروني أن تقبل الموت أمر صعب جداً على الأطفال. فقط الوقت والكثير من الحب قادران على مساعدة الصبي الصغير وشفائه من الإحساس الكبير بالخسارة، كذلك... وجود أليخاندرو سانتياغو كوالد حقيقي له. كان ميشيل في الرابعة من عمره عندما تزوج طوم وجوانا، وهو يعرف أن طوم ليس والده. والآن، من المهم أن يكون قادراً على التحدث مع أليخاندرو عن جوانا وطوم. ربما بدأ يحول حبه إلى الرجل الآخر...!

قطع أليخاندرو الصمت الممتد بينهما بقوله: «أنا غريب بالنسبة إليه، بروني! ربما يشعر بارتياح أكبر بالتحدث عنهما مع شخص يعرفه حديثاً. ومن فضلك لا تسيئي فهمي، لكنني أظن أن ميشيل يعلم أنني لن أتأثر عاطفياً عندما يتحدث عن أمه وطوم».

هذه وجهة نظر لها صلة وثيقة بالموضوع، كما أنه أثناء عرض فكرته تلك نسي للمرة الأولى أن يناديه ميغيل. ابتسمت بروني رغم حزنها، وقالت: «من المحتمل أنك على حق. أخشى القول إن والديّ كانا منهارين كلياً بسبب ما حدث، كما لا يمكنني أن أدعي أنني كنت متحكمة بعواطفي».

قطب أليخاندرو جبينه، وقال: «لماذا عليك أن تفعلي؟ طوم أخوك الأكبر، وجوانا شقيقة لك. كانت تلك مأساة حقيقية».

حدقت بروني به بتأمل، ثم قالت: «لكن... من دون تلك المأساة لما علمت مطلقاً أن ميشيل هو ابنك».

- أي نوع من الرجال تظنينني، بروني؟

عبس قبل أن يتابع: «هل تعتقدين أنني كنت لأتمنى موت جوانا كي أحصل على الوصاية على ميغيل؟».

حسناً! لقد وضعت حداً نهائياً لتلك المعاهدة بينهما. علمت بروني ذلك وهي ترتجف من الندم لاختيارها غير المناسب للكلمات. قالت بصدق: «بالطبع، لم أقصد ذلك. بالكاد كنت أذكر...».

- بروني! أنا سعيد جداً لمعرفتي بوجود ميغيل، وأتمنى لو أن جوانا بقيت على قيد الحياة، لكنت علمت بوجوده يوماً ما، عندما يكبر ويسأل عني.

بدا غاضباً جداً، وهو يتابع: «لكنني بدون أي شك، لا أشعر بالسعادة من حقيقة أن أمه توفيت».

شهقت بروني، ثم قالت: «أنت تتعمد عدم فهم ما قلته».

- لا أعتقد ذلك.

وقف أليخاندرو على نحو مفاجئ، ولمع وجهه بقسوة واضحة. قال من بين أسنانه: «بالرغم مما قلته منذ أيام قليلة، فأنا لست ذلك الشخص المتحجر القلب الذي تعتقدينه».

ثم استدار بسرعة مبتعداً عنها، إذ شعر بغضب حقيقي من معرفة أنها لا تزال تفكر فيه بتلك الطريقة.

راقبته بروني وهو يسير نحو الشاطئ. غضبت من نفسها، وشعرت بالمرارة بسبب سوء التفاهم الجديد بينهما. أدارت رأسها بسرعة نحو الفيلا، ما إن سمعت صوت تحطم زجاج، وعلمت من نظرة الرعب على وجه ميشيل الشاحب، ومن وجهه المصدوم وهو يقف على بعد خطوات من الشرفة، وكوب البرتقال محطم عند قدميه، أنه سمع على الأقل آخر ما تبادلاه من حديث. أسرعت بالنهوض، وهي تنادي: «ميشيل!».

قبل أن تصل إليه، بدأ الصبي الصغير بالركض مبتعداً عنها، تماماً كما فعل والده منذ لحظات قليلة. دخل إلى الفيلا، فركضت وراءه، وهي تؤنب نفسها لأنها لم تتذكر أن الأطفال لديهم القدرة على الظهور عندما لا يتوقع أحد وجودهم. كان عليها أن تدرك ذلك، وأن تكون أكثر حذراً. ليس من الجيد أن تجد عذراً لنفسها بالقول إنها كانت مستغرقة بالتفكير بلطف أليخاندرو، وهو يتحدث عن جوانا، لدرجة أنها لم تفكر بعودة ميشيل في أي لحظة! ميشيل هو أولوية في حياتها الآن، وهي وأليخاندرو مسؤولان عن الألم الذي سببناه له. تأوهت قائلة: «ميشيل!».

وجدته في غرفته منطرحاً على سريره ودافناً وجهه في الوسادة. اجتازت بروني الغرفة بسرعة. جلست على جانب سريره، وضمته بين ذراعيها. تعلق ميشيل بها، وأخذ يبكي بقوة، وجسده يرتجف من قوة

تنهيداته. قال، وهو يكاد يختنق من البكاء: «أمي وأبي لن يعودا. أليس كذلك؟ أنا لن أراهما ثانيةً!».

عاد إلى البكاء بقوة وإلى التنهد من جديد. أخذت بروني تبكي أيضاً، وراحت الدموع الحارة تغسل خديها، وهي تضم ميشيل إليها بشدة. سأل ميشيل من بين تنهداته: «هل ستموتين أنت أيضاً، عمتي برو، وكذلك أبي الجديد؟».

شهقت من إحساسها الكبير بالوحدة، وقالت: «لا، ميشيل! بالطبع نحن لن نموت».

- لا تتركيني، عمتي برو!

تعلق ميشيل بقوة أكبر بها، وتابع: «من فضلك، لا تتركيني!».

- كل شخصٍ يموت يوماً ما حبيبي!

أضافت بصوت مضطرب، فهي تعلم أن قول الحقيقة أمر مهم جداً للأطفال. إن فقدت ثقتهم مرة، فمن الصعب الحصول عليها مجدداً، كما أنه ليس هناك من ضمانة، عندما يتعلق الأمر بالحياة والموت.

- لكن لا أحد منا سيموت الآن، ميشيل! عندما يحصل ذلك ستكون قد أصبحت رجلاً كبيراً، ومن المحتمل أن يكون لديك أطفال أيضاً.

لا يمكن للقدر أن يعرض هذا الطفل الصغير إلى صدمات مخيفة وعظيمة مجدداً!

تنفس ميشيل بارتياح، وقال: «سيمر وقت طويل قبل ذلك».

أكدت له بروني بعاطفة صادقة: «أجل! وقت طويل جداً، حبيبي!».

- بروني؟!

استدارت لتنظر إلى أليخاندرو، الذي يقف عند الباب، والذي لفظ اسمها بنعومة. اعترف أليخاندرو وهو يجتاز الغرفة، ليصل إلى

حيث يجلسان، أنهما يشكلان صورة للحزن والبؤس. كلاهما مجروحان عاطفياً بسبب موت جوانا وطوم. قال بصوت مضطرب، وهو يجلس على السرير بجانب بروني: «سمعت صوت تحطم الزجاج، ثم سمعتك تصرخين ميشيل، لذا...».

ابتعد ميشيل من بين ذراعي عمته، ليرمي بنفسه على أليخاندرو، ويقول: «أبي!».

شعر أليخاندرو بقبضة من العاطفة تمسك حلقه، وهو يحضن ميشيل إليه بقوة. تمسك الصبي الصغير بعنقه بقوة وعاطفة. قال يخفف عنه، وهو يمرر يده على شعره الأسود، الذي يشبه شعره تماماً: «لابأس، ميشيل! عمتك برو وأنا لن نتركك. أنت لست وحيداً ميشيل».

أكد له بنبرة حازمة وصادقة: «أعدك أنك لن تكون أبداً وحيداً».

اختار أليخاندرو أن يبقى بعيداً عن أي عاطفة. قرر منذ زمن بعيد أن هذه أفضل وسيلة للعيش. لكن ألم ميشيل كبير جداً، لدرجة أنه من المستحيل أن يبقى غير متأثر به. إنه ابنه... ابنه! ميشيل يحتاج إليه. شعر بموجة من الحب تجتاحه، لدرجة أنه وجد نفسه غير قادر على الكلام. أخذ يتحدث بنعومة باللغة الإسبانية عندما وجد أخيراً صوته من جديد، مؤكداً لابنه حبه له، وهو يضمه إليه ويداعب شعره وظهره.

لم تفهم بروني كلمة مما قاله أليخاندرو لميشيل، فهي لا تتحدث الإسبانية، لكنها تحتاج فقط إلى نظرة واحدة إلى تلك الملامح المتكبرة التي أصبحت رقيقة ولطيفة الآن، وإلى سماع تلك النبرة المليئة بالعاطفة في صوته، لتعلم أنه كلام شخصي جداً، وشيء خاص بالمطلق بين الأب وابنه. شعرت كأنها دخيلة على تلك العاطفة، فنهضت بهدوء من مكانها، وسارت نحو النافذة. كان

ميشيل قوياً جداً خلال الشهرين الماضيين. ظل مسيطراً على نفسه. وعندما أطلق العنان لعاطفته، تحطم قلبه الصغير. وعندما احتاج إلى من يخفف عنه اختار أليخاندرو، وهي سعيدة لهذا الاختيار، لمصلحة ميشيل وأليخاندرو معاً. أليخاندرو رجل ينأى بنفسه عن أي عاطفة. حتى بعد معرفته بوجود ميشيل وإحضاره إلى هنا، لا شيء عمل على تغيير طريقة حياته المنظمة. لكنها رأت الحب في عينيه منذ دقائق قليلة، وعلمت أن حالة ميشيل البائسة اخترقت أخيراً الحواجز التي وضعها أليخاندرو حول قلبه. رؤيتهما وهما يتعرفان على هذه العاطفة الجديدة، والاحساس بالحب الذي يزدهر بينهما، جعل الدموع الحارة تنهمر على خديها من شدة التأثر. تمتم أليخاندرو بنعومة من وراء ظهرها بعد مرور عدة دقائق: «لقد غفا! لاشك أنه مرهق بعد هذا الاضطراب العاطفي».

أضاف بصوت مضطرب، وهو يضع ابنه ليرتاح على السرير، قبل أن يستدير وينظر إلى بروني: «أنت وأنا بحاجة إلى التحدث قليلاً».

قال ذلك بنبرة قاسية، وهو يسير نحو الباب. فتحه وتنحى جانباً، لتتقدمه وتخرج من الغرفة. رمته بروني بنظرة قلقة ما إن وصلت قربه، فهي لا تعرف كيف هو مزاجه الآن. اللطف الذي أظهره قبل دقائق قليلة لميشيل اختفى كلياً وراء قناع من القسوة الواضحة. ابتلعت غصة، وهي تقول: «ربما يجب على أحدنا أن يبقى مع ميشيل».

أكد لها أليخاندرو بقسوة: «يمكنك العودة والجلوس معه بعد بضع دقائق، أما الآن فهناك حديث بيننا يجب أن نكمله... وليس في الطابق الأرضي».

قال جملته الأخيرة، ما إن رآها تتحرك باتجاه الدرج. تابع بتصميم وهو يفتح باباً عبر القاعة: «بل هنا، حيث لا أحد يمكنه أن يسمعنا».

«هنا» غرفة لم تدخلها بروني من قبل. غرفة كبيرة، مشمسة وذات أبواب فرنسية تؤدي إلى شرفة واسعة. الغرفة مفروشة باللونين الذهبي والبني، ويحتل معظمها سرير ضخم ذو أعمدة، محاط بستائر من الدانتيل، تنسدل عليه في الليل من أجل الخصوصية المطلقة. إنها غرفة نوم أليخاندرو!

١١ - صراحة مؤلمة

رأى أليخاندرو نظرة الرعب على وجه بروني، ما إن أدركت أنه أحضرها إلى غرفة نومه. التوى فمه باستياء، وقال: «أنا لست بمزاج للإغواء في هذه اللحظة».

سار نحو الأبواب، وفتحها بقوة لكي يتنشق النسيم العليل اللطيف. إنه بحاجة إلى الهواء النقي ليهدأ قليلاً، فذلك المشهد مع ميشيل أقلقه وأثار أعصابه.

قالت له بروني وهي تعلم أن لا داعي لذلك: «سمع ميشيل جزءاً من حديثنا قبل قليل».

كان عليهما أن يكونا أكثر حذراً بالطبع! لقد سمحا من جديد للعداوة بينهما أن تنتشر من دون أي ضابط.

بدت بروني شاحبة، وبدا النمش واضحاً جداً على بشرتها البيضاء، أمّا الظلال تحت عينيها فتظهر أنها مضطربة بسبب ما حدث مثله تماماً. هز أليخاندرو رأسه بنفاد صبر، وقال: «خيبة الأمل التي أصابت ميشيل تؤكد أنك يجب أن تتوقفي عن مهاجمتي بسبب علاقتي مع جوانا».

شهقت بروني، وقالت: «يقع اللوم علينا معاً، أنت بسبب اتهامات وإطلاق أحكام لا يحق لك القيام بها، وأنا لأنني أشعر بالحاجة إلى

www.elromancia.com

مواجهة تلك الانتقادات».

لمعت عيناه بالغضب، وتابع من حيث توقف: «علاقتي الماضية مع جوانا لا تعنيك على الإطلاق».

قالت باستياء وهي تشعر كأنها لُسعت من كلماته: «أحقاً؟ كل ما عليّ القيام به هو أن أتحمل نتائج أعمالك بعد سبع سنوات!».

تعترف أنها أخطأت بالشجار معه في مكان يستطيع ميشيل سماعهما فيه، لكنها لا تقبل أن يتهمها بأن الشجار خطؤها وحدها، فأليخاندرو هو من لم يتقبل ملاحظتها البريئة.

قال أليخاندرو بتحدٍ، وهو ينظر إليها من فوق أنفه: «أهذا هو اهتمامك الوحيد بروني، أم أنك تشعرين ببعض الفضول الشخصي، في ما يتعلق بعلاقتي مع جوانا خلال السنين الماضية؟».

شعرت بروني بالدماء تتدفق بقوة إلى وجهها. قالت: «ماذا تقصد بقولك الآن؟».

لوى أليخاندرو شفتيه وقال بنبرة خالية من أي مرح: «هناك مثل يقول: «من كان بيته من زجاج، يجب ألاّ يرمي الناس بالحجارة». أليس كذلك؟».

حدقت بروني به بغموض لعدة لحظات، ثم اتسعت عيناها ما إن أصبح معنى كلامه واضحاً لها. قالت: «إن كنت تتحدث عن عناقنا مساء البارحة...».

- هذا بالتحديد ما أتحدث عنه، بروني!

ثم تابع باستياء وسخرية معاً: «ماذا تعتقدين أنه كان ليحدث لو لم تأتِ أنطونيا وتقاطع عناقنا؟».

عذبتها تلك الأفكار بقدر كافٍ ليلة البارحة.

- ألهذا السبب عانقتني؟ لتبرهن...

قاطعها بنبرة حادة قائلاً: «قمنا بذلك، بروني! ما إن عانقتك حتى

بادلتني العناق، وبالطبع لم أكن أفكر في برهنة أي شيء».

ذكرها بذلك ببرودة، وأصرّ على أن يسألها متابعاً: «إذاً، ماذا تعتقدين كان سيحدث؟».

- أنت تقصد... لو لم تصل صديقتك؟

قاطعها أليخاندرو بنعومة قائلاً: «آه، لا! لن أسمح لك بإثارة غضبي بتبديل الموضوع بهذه الطريقة».

سار عبر الغرفة ليقف مباشرة أمامها، ما جعل بروني أكثر إحساساً به، وبعطره وبقوته الخارقة، التي تسيطر عليها تماماً. تجنبت النظر إلى عينيه. رطبت شفتيها الجافتين قبل أن تقول: «أحب أن أعتقد أو أفكر...».

أمسك أليخاندرو ذراعيها، وهزها قليلاً قائلاً: «لا، بروني! لا مجال للتفكير أو للتخيل».

قاومت بروني لتتمكن من الابتعاد عنه وهي تقول: «كفى!».

لكنه استمر بالضغط على ذراعيها بيديه القويتين. كرر بنعومة: «ماذا لو لم نتوقف؟».

هي تعلم جيداً أنها بادلته العناق بشغف وقوة، فهي لم تكن قادرة على التفكير بأي أمر غيره. أرادت أن تكون قريبة منه أكثر، حتى إنها لم تدرك أن هناك سيارة تقترب من الفيلا. استطاع أليخاندرو أن يرى الاستغراب المؤلم في عيني بروني، وعلم أنه يسبب الألم لها، لكنه يريدها أن تفهم ما حدث معه في الماضي. سوء الفهم أو ربما قلة خبرتها في هذه الأمور يجعلانها تحكم عليه وعلى جوانا بقسوة. وفي حين أنه لا يهتم لما تفكر به بشأنه، لكن الأمر مختلف تماماً مع جوانا.

أبعد يديه عنها، وسار عدة خطوات، ليتمكن من وضع يديه في جيبي سرواله. قال بنعومة: «نعلم كلانا أننا كنا سنتمادى بالأمر».

شهقت قائلة: «أنت جدير بالازدراء».

صحح لها بنبرة حازمة: «لا! أنا صادق مع نفسي ومع الآخرين. هذا الصدق نفسه حدث بيني وبين جوانا منذ سبع سنوات. لم نكن مغرمين ببعضنا، لكن أعجبنا ببعضنا البعض، وشعر كل منا بالانجذاب نحو الآخر. ذلك الانجذاب نفسه الذي حدث بيننا ليلة البارحة».

- لا!

قال يسخر منها: «ما الذي تقولينه، بروني؟ أتقولين إن ما شعرت به ليلة البارحة لم يكن انجذاباً بل شيئاً آخر؟ أهذا يعني أنك مغرمة بي؟».

بالطبع هي ليست مغرمة به! إنه كريه... متكبر... ساخر... وهي تحتقره لأنه يتحدث عما حدث ليلة البارحة بهذه الطريقة التحليلية الباردة. كانت تلك لحظة جنونية، لم تحدث معها مطلقاً من قبل، وهذا أمر مازالت تعاني مشكلة في تقبله أو تفهمه.

تابع أليخاندرو بقسوة: «حسناً! هل أنت كذلك؟».

- لا! بالطبع، لا!

كرر باستهزاء: «لكنك بادلتني العناق بشغف كبير».

صرخت به بروني: «كفى! فقط، أصمت!».

استدارت، وهي ترتجف.

تنهد أليخاندرو بقوة: «سأتوقف عن هذا الكلام، لكنك مرائية، بروني سوليفان! أنت تخدعين بذلك نفسك فقط، باعتقادك أنك لا تملكين ذلك الشعور الذي جذبنا أنا وجوانا إلى بعضنا منذ سنوات».

علمت بروني أنها تخدع نفسها. فهي تدرك تماماً حقيقة أنها ما كانت قادرة على الابتعاد عن أليخاندرو ليلة البارحة. فقد استمرت بالشوق إليه لساعات بعد ذلك، وما زالت تشتاق إليه حتى الآن.

تابع بتصميم وقوة: «أنت تلقين اللوم عليّ، لأن جوانا عانت من الحمل وتربية ميشيل بمفردها طوال السنوات الأربع الأولى من حياته، ودفاعي عن ذلك هو أن ذلك كان خيار جوانا».

- لأنك كنت متزوجاً.

- زواجي لا أهمية له هنا. جوانا اختارت ألاّ تخبرني بوجود ميشيل. وإن كان من شخص عليه أن يشعر بالغضب فهو أنا لا أنت!

ثم تابع بصراحة: «خاب أملي لأنني لم أعرف بوجود ميشيل حتى الآن، لكنني لا أضع اللوم على جوانا بسبب الخيار الذي اتخذته».

إنه على حق، وبروني تعلم ذلك. لكن من الأسهل عليها أن تغضب من أليخاندرو الحي المتفاخر، بدلاً من جوانا زوجة أخيها المتوفاة.

قال لها أليخاندرو بصوت مضطرب: «لا أرغب في التحدث عن هذا الموضوع مجدداً بروني، فالماضي انتهى. فكري بي كما تشائين، وأنا متأكد أن هناك أشخاص سواك يفكرون بالأسوأ بي، لكن لا تفكري بالسوء بجوانا. كانت امرأة جميلة حرة عندما تعرفت عليها، امرأة تعرف جيداً ما تريده، وهكذا أرغب في أن أفكر بها دوماً».

كانت جوانا تلك المرأة الجميلة الحرة عندما تعرفت عليها بروني أيضاً، وعندما أغرم بها طوم! هذا بالطبع كلام لطيف يقوله أليخاندرو، ويظهر أن عاطفته لم تتغير منذ ذلك الحين.

تابع أليخاندرو: «هناك ميشيل الآن، وهو وحده المهم».

قالت بهدوء: «أوافقك الرأي».

بدا كأنه غير مصدق حين سألها: «أحقاً؟».

رفعت رأسها لتنظر إليه، وتقول: «بالطبع!».

ثم أضافت بلطف: «سأحاول ألاّ أكون مرائية بعد الآن».

حدق أليخاندرو بها بنظرة ضيقة، فهو يعلم بالتحديد ماذا قصدته

في ملاحظتها الأخيرة. أرادت أن تؤكد له أن فرصة معانقتها لن تحدث مجدداً. في الواقع، هذا أمر منطقي، وأفضل ما يمكن أن يحدث، مع ذلك فالمنطق والتعقل هما آخر ما يفكر بهما عندما يكون برفقة هذه المرأة الشابة. شعر بالتوق إليها بقوة ليلة أمس، وشعر بها ترتجف منذ دقائق قليلة ما إن لمسها، لكنه يعلم أنه غير قادر على تقديم أي ضمانات لها، بأن ذلك لن يحدث مجدداً. قال يسخر منها: «ستحاولين، بروني؟».

ضغطت على أسنانها وقالت: «أجل!».

هز رأسه، وعلق: «سأحاول أنا أيضاً».

نظر أليخاندرو حوله، وتابع: «ربما... هذه ليست الغرفة المناسبة لتأكيد هذا القرار».

فجأة تخيل بروني مستلقية على سريره الكبير، وشعرها الناري ملقى على وسادته، وهذا أيضاً ينفي ما ادعاه قبل قليل...

قالت بروني وهي تبتعد عنه فجأة: «سأذهب الآن لأجلس مع ميشيل».

مدّ أليخاندرو يده ليمسك ذراعها، ثم قال: «بروني!».

حدقت به، فنظر إلى وجهها الجميل الذي بدا شاحباً، ورأى الحذر في تينك العينين الزرقاوين. شعر برغبة لا تقاوم لمعانقتها من جديد وضمها إليه. بدلاً من ذلك قال بنبرة مضطربة: «سأخرج لتناول العشاء هذا المساء أيضاً، لكنني سأتحدث إلى ميشيل قبل أن أغادر».

ليس من الصعب أن تعرف مع من سيتناول أليخاندرو العشاء هذا المساء. من الواضح أن حديثهما السابق عند الصباح لم يشكل أي فرق لديه في ما يتعلق بعلاقته مع المرأة الأخرى. ولا شك أن أنطونيا روج متحررة بما فيه الكفاية لتوافق على هذا النوع من العلاقة مع أليخاندرو، وهو النوع الوحيد الذي يسمح بحدوثه في حياته. هي

نفسها كادت تقع في حبائله ليلة البارحة. كان أليخاندرو على حق عندما وبخها بقسوة، فاستجابتها له ليلة البارحة تجعل موقفها من علاقته العابرة مع جوانا في وقت مضى بلا قيمة. ليلة البارحة كانت ضحية انجذابها لهذا الرجل، وحتى الآن هي ليست قادرة على نسيان عناق أليخاندرو وسحره وتأثيره عليها، الذي لا تستطيع أبداً أن تنكره. مجرد لمسة يده على ذراعها الآن تجعلها تشعر بذلك السحر أيضاً. قالت: «أنا متأكدة أن ميشيل سيحب ذلك».

تمتم بصوت أجش: «وأنت بروني، ماذا تحبين؟».

تحب ألاّ يذهب إلى أنطونيا روج، بل أن يبقى هنا معها هذا المساء. ليتحدثا ويضحكا معاً، وربما... هذا جنون مطبق!

رفعت ذقنها مصممة على محاربة تلك العواطف والاستمرار في مقاومتها. قالت بلا اهتمام: «ما إن يستيقظ ميشيل، أرغب في الذهاب إلى غرفتي كي أستحم قبل تناول العشاء».

الصورة الذهبية التي تشكلت في رأس أليخاندرو لبروني، وهي تستحم وشعرها مرفوع إلى أعلى رأسها، كادت تحبس أنفاسه. قال وهو يحاول إبعاد تلك الصورة عن أفكاره: «اذهبي واستحمي الآن، إن كنت ترغبين. سأجلس قرب ميشيل حتى عودتك».

نظرت إليه متسائلة، وقالت: «هل قررت أن تناديه ميشيل في النهاية؟».

رفع كتفيه، وأجاب: «في الوقت الراهن، أجل! أن أرغب في أن يصبح إسبانياً على الفور، يعني أن أتوقع الكثير في وقت قصير جداً».

ابتسمت بروني، وعلقت: «أعتقد أن هذا تصرف حكيم بالفعل».

كرر أليخاندرو بسخرية: «أحقاً، بروني؟ لا أعتقد أنك تصدقين أنني أملك هذه الصفة».

هي تصدق أنه قادر على امتلاك الكثير من الصفات، وأكثر مما

تجرؤ على الاعتراف، والأهم من ذلك كله، أدركت أنه شخص نزيه عندما تعلق الأمر بوجود ابنه. بقي أليخاندرو جاهلاً وجود ميشيل لأكثر من ست سنوات، ثم قرأ في الصحيفة خبر موت جوانا، وأدرك أن ابنها قد يكون ابنه أيضاً. كان بإمكانه الاستمرار في تجاهل وجوده، لكن بدلاً من القيام بذلك، طلب الوصاية عليه، وواجه المحكمة أمامها من أجل الحصول على تلك الوصاية. وخلال تلك الفترة احتفظ باحترام وعاطفة صادقين نحو جوانا، لم يتغيرا. اعترفت أن أليخاندرو سانتياغو هو بالفعل رجل نزيه شريف. الحقيقة هو أنه مستاء منها، فقد بذلت مجهوداً كبيراً لتحرمه ابنه. اتسعت ابتسامتها، وقالت: «أنا متأكدة أن ما أفكر به بشأنك لا أهمية له مطلقاً بالنسبة لك، أليخاندرو!».

تساءل أليخاندرو، هل رأيها غير مهم حقاً؟ ليلة البارحة أحس بعاطفة جارفة تجاه هذه المرأة، ولو لم تصل أنطونيا لزيارة غير متوقعة... علم فجأة وبوضوح كلي، أن من المستحيل عليهما أن يستمرا في التواجد معاً. ابتسم بصعوبة، وقال: «حسناً! اذهبي الآن، واستحمي».

استدار بسرعة، ضاغطاً يده بقوة على جبينه، وحدق إلى الخارج من النافذة، حتى سمع باب غرفة النوم يغلق بنعومة، بعد أن غادرت بروني.

تنفس بقوة محاولاً أن يبعد التوتر من كتفيه، وببطء فتح يديه. هذا الحديث الصريح مع بروني كان ضرورياً وربما مهماً للمدى الطويل. كان من المفترض أن يقول ما قاله. مع أنه لم يتعمد أن يفعل ذلك، لكنها الآن تعلم أن الانجذاب يسبب عاطفة قوية جارفة تماماً كما هو الحب. هذا ما يوصف به الحب، عاطفة قوية جارفة. لكن أليخاندرو لم يحب امرأة في حياته، لا جوانا ولا فرانسيسكا، أو أي واحدة من

أولئك النساء اللواتي لا يعرف أسماءهن ولا وجوههن، واللواتي أقام علاقات معهن عبر كل تلك السنين. كما أنه ليس مغرماً ببروني أيضاً. لكن في نهاية الأمر، شعرها الأحمر الملتهب وعيناها الزرقاوان الرائعتان وجسدها الرشيق الجميل، كل ذلك أصبح عذاباً دائماً له وإغواء مستمراً. إغواء يجد أن مقاومته تزداد صعوبة مع كل لحظة تمر.

www.elromancia.com

١٢ - اتصال في منتصف الليل

استيقظت بروني مشوشة الذهن، فيما أحست بأحدهم يحملها. شعرت بجفنيها ثقيلين، وهي ترفعهما لتجد وجه أليخاندرو على بعد سنتيمترات قليلة من وجهها. هاتان الذراعان اللتان تضمانها هما ذراعاه بالتأكيد. تمتمت وهي تشعر بالنعاس: «ما الذي تفعله؟».

نظر إليها أليخاندرو بعينين غامضتين، يتعذر فهمهما، وأجاب بنعومة: «ماذا يبدو أنني أفعل؟».

يبدو أنه يحملها، ويلقي بها على صدره القوي. بإمكان بروني أن تسمع دقات قلبه بوضوح من تحت القميص الحريرية التي يرتديها. أضاف بصوت أجش، ما إن بدأ بصعود الدرج: «وجدتك نائمة على الأريكة، عندما عدت إلى المنزل».

آه! تذكرت الآن... تناولت العشاء مع ميشيل، ثم وضعته في سريره، وجلست في غرفة الجلوس تقرأ، لكنها لم تتمكن من إبعاد أفكارها عن أليخاندرو والجميلة أنطونيا، ولابد أنها غفت هناك. كانت بانتظار عودته، لتخبره شيئاً ما، لكنها لا تستطيع أن تفكر بطريقة صحيحة، وهي لا تذكر ما هو ذلك الموضوع، فيما أليخاندرو يضمها إلى صدره كما يفعل. قطبت جبينها، وسألته: «إلى أين تأخذني؟».

أحس أليخاندرو بملمس شعرها الأحمر الطويل كالحرير على

ذراعه، أما عيناها فبدتا حالمتين كالأثير في السماء الزرقاء، وبدا وجهها متورداً قليلاً من النوم. بعد أن عاد إلى المنزل عند الساعة الحادية عشرة، صعد إلى الطابق العلوي ليتفقد ميشيل. لم يتوقع أن يجد أحداً مستيقظاً، لكن المصباح الصغير الذي ما زال مضاء في غرفة الجلوس دفعه للنزول إلى الطابق الأرضي ليعلم من هناك. رؤية بروني نائمة هناك على الأريكة هو آخر أمر توقعه أو أراده، بعد مقاومته رغبته القوية سابقاً في مغازلتها ومعانقتها. جلست متكورة فوق الأريكة، ووجهها الجميل خالٍ من أي مساحيق زينة، فيما رداؤها يظهر جمال جسدها، أما أصابعها الطويلة فملتفة حول الكتاب الذي كانت تقرأه، قبل أن تستسلم للنوم.

وقف ينظر إليها لعدة دقائق، ممزقاً بين الرغبة في الاستلقاء قربها على الأريكة ليعانقها حتى تستيقظ، أو إيقاظها لكي تذهب إلى السرير. في النهاية لم يفعل أياً من هذين الأمرين. بدلاً من ذلك انحنى، ورفعها بسهولة بين ذراعيه، وهو يفكر في أن يحملها إلى الطابق العلوي، إلى غرفة نومها.

ظن لحماقته أنه قادر ببساطة أن يحملها إلى غرفتها ويتركها هناك، إلاّ أن شوقه المتزايد يدفعه للقيام بأمر مختلف. أصبحت بروني مستيقظة تماماً الآن. نظرت إلى أليخاندرو من تحت رموشها ورأت أنه يضغط على أسنانه، وأن هناك عصباً ينبض في خده المتوتر. عطره مزيج من عطر ما بعد الحلاقة ورائحته الخاصة به وحده. شعرت بروني بقوته، وهي تحرك ذراعيها حول عنقه، ويداها ترتاحان بلطف على كتفيه العريضتين. أحست ببشرته دافئة، وانتقلت الحرارة من جسده إلى جسدها. تزايدت تلك الحرارة ما إن مررت أصابعها بخصلات شعره الأسود الذي يصل إلى عنقه.

- لا تنظري إلي بهذه الطريقة.

قال ذلك كأنه يأمرها، وازداد تسارع النبض في خده. تمتمت بروني بصوت مضطرب: «بأي طريقة أنظر إليك، أليخاندرو؟».

أردفت بصوت خفيض: «هناك ما أريد قوله لك».

توقف أليخاندرو في الممر لينظر إليها. علم أن عليه أن يأخذها إلى غرفة نومها، ويتركها هناك، لكن غرفة نومه أقرب. وفي هذه اللحظة بروني تود أن تقول له شيئاً ما، فما الفرق؟ ضاقت عيناه وهو يسألها: «ألا ينتظر حديثك حتى الصباح، بروني؟».

همست قائلة: «ربما! لكنني أحاول ألاّ أكون مرائية».

ابتسم لهذه النكتة الموجهة لنفسها. قال لها: «لنسمع ما تريدين قوله أولاً».

إنها حقاً تريد أن تخبره شيئاً ما، لكن ما هو؟ ربما ستتذكر في اللحظات القادمة عندما يضعها على الأرض فتنجو من تأثير احتضانه لها.

لم يتردد أليخاندرو أكثر من ذلك، فتح باب غرفة نومه، ثم أغلقه وراءهما، قبل أن يضع بروني على الأريكة المواجهة للسرير. قالت له: «رغبت دوماً بأن أنام في سرير بأعمدة».

ابتسم لها بمكر وعلق: «أهذا ما ترغبين به؟».

قال أليخاندرو ذلك وهو يعود ليجلس قربها على الأريكة. ابتسمت بروني له بدورها، وعند هذه النقطة لم يعد يستطيع المقاومة أكثر. التفت ذراعاه حولها من جديد، وعانقها... وضعت بروني يديها حول كتفيه لتطوقا عنقه. بدا كما لو أن الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، منذ أن كانا بمثل هذا الموقف، لم تمر أبداً، فالانجذاب المتبادل بينهما حاضر وقوي، ولا أحد قادر على تجاهله. عانقها أليخاندرو وهو يضمها بشدة إليه. لم تتصور بروني من قبل أن هناك عاطفة بمثل هذه القوة، بدا كأن موجة من السعادة تجرفهما معاً. تمتم

أليخاندرو قائلاً: «أنت جميلة جداً بروني».

شعرت أنها جميلة حقاً، وتبخرت من رأسها كل فكرة أخرى سوى عناقهما. مرت ثوانٍ لم يشعرا خلالها بمرور الوقت. غمرتهما السعادة وهما يضمان بعضهما، وكأن لا أحد غيرهما في هذا العالم. رفعا نظرهما معاً، ما إن رن جرس الهاتف على الطاولة قرب السرير. قطب أليخاندرو جبينه، وشعرت بروني فجأة بالرعب. أخيراً تذكرت ما هو الأمر الذي جعلها تبقى منتظرة عودته. قالت بسرعة كأنها تعتذر، وهي تشعر بالندم: «نسيت أن أخبرك أن أخاك اتصل هذا المساء أثناء غيابك!».

لم تتمكن من إكمال ما ترغب في قوله لأن أليخاندرو وقف وهو يعبس بشدة، والتقط سماعة الهاتف. كان ظهر أليخاندرو باتجاهها وهو يتكلم. تحدث باللغة الإسبانية، لذا لم تكن لديها فكرة عما يقوله. مع ذلك تمكنت بروني من رؤية التوتر الذي جعل كتفي أليخاندرو تتصلبان، وهو يصغي إلى أخيه على الطرف الآخر من الهاتف. جعلها ذلك تشعر بمزيد من الإحساس بالذنب، لأنها نسيت أن تخبره عن ذلك الاتصال في وقت سابق. لابد أن الأمر مهم بالنسبة إلى الرجل الآخر ليتصل بأليخاندرو من جديد قرابة منتصف الليل. أدركت ذلك، وهي تنظر إلى الساعة الموضوعة قرب السرير. كيف استطاعت أن تنسى، ولم تخبره؟ وبخت نفسها وهي تنهض عن الأريكة. أنهى أليخاندرو الاتصال، وعبس كأنه يفكر بمسألة خطيرة.

سألته بروني بقلق: «ما الأمر؟».

بدا مستغرقاً في التفكير، ولم يجبها. عاد من جديد ذلك الإسباني المتكبر المتحفظ، الذي عرفته طوال الأسابيع الستة الماضية. قالت بتوتر وغضب: «أليخاندرو؟!».

قال بصراحة: «سلسلة الفنادق التي نملكها في أستراليا مهددة

بالاستيلاء عليها. عليّ الذهاب!».

حدقت بروني به، غير قادرة على فهم ما يقوله. سألته: «تذهب... إلى أين؟».

رماها أليخاندرو بنظرة ملؤها الضيق، وهو يقف قائلاً: «إلى أستراليا طبعاً».

تلقى اتصالاً هاتفياً من أخيه في منتصف الليل، وعليه الذهاب الآن إلى أستراليا!

وعناقهما منذ لحظات... ألم يعن له شيئاً؟

١٣ - ارحل الآن!

حدقت بروني بأليخاندرو بدهشة، ما إن أخذ حقيبة من الخزانة، وبدأ يرمي الثياب في داخلها.

كانا منسجمين معاً، وتشاركا بلحظات من العناق الحميم. بالنسبة لها كان عناقاً مليئاً بالحب، والآن أليخاندرو سوف يتركها ببساطة، من دون التحدث بالأمر أو النظر إلى الخلف...

- أليخاندرو!

- لا وقت لدي للجدال الآن، بروني!

قاطعها بقسوة، ما إن أنهى حزم حقيبته، وتابع: «علي أن اتصل بقطبان طائرتي، كي يستعد للسفر».

اتسعت عيناها، ما إن التقط سماعة الهاتف، وضغط على عدد من الأرقام.

- هل... ستغادر الآن فعلاً؟ الليلة؟!

تابعت باستغراب وذهول: «هذا لا يعطيني الوقت الكافي، لأوقظ ميشيل، وأحزم حقائبنا».

قطب أليخاندرو جبينه، وهو يستدير لينظر إليها قائلاً: «ولماذا تحتاجين إلى القيام بذلك؟».

أجابت بسرعة: «لكي نتمكن من الذهاب معك».

www.elromancia.com

أيأخذ بروني وميشيل معه إلى أستراليا، ليجدها هناك بانتظاره في الفندق، كلما أخذ استراحة من اجتماعات العمل الطويلة، التي ستتضاءل بلا شك، ما إن ينضم إلى أخيه؟

لا! لا فكرة لديه كيف حدث هذا التقارب بينه وبين بروني هذا المساء. بدت جميلة جداً وهي مستلقية على الأريكة، وشعر بها ناعمة ودافئة بين ذراعيه، وهو يحملها على الدرج، لكنه لم يخطط على الإطلاق لأخذها إلى غرفته ليتبادلا العناق الحميم كما فعلا. بروني ليست مثل أي امرأة أخرى عرفها منذ وفاة فرانسيسكا. إنها عمة ابنه.

رحيله المفاجئ قد يبدو سيئاً بالنسبة لبروني، لكنه بحاجة إلى الابتعاد عنها، ليفكر إلى أين يمكن أن تأخذهما العواطف الجارفة التي يشعران بها كلما اجتمعا معاً. هز رأسه، وقطب جبينه قائلاً: «لا تكوني سخيفة، بروني! أنا لا أرغب في اصطحاب أي منكما إلى أستراليا».

- لكن...

- كونسوليو؟

قال أليخاندرو في سماعة الهاتف، عندما تمت الإجابة على اتصاله أخيراً. بدأ بإطلاق الأوامر بنبرة سريعة، قبل أن ينهي المكالمة فجأة، ثم يستدير ليتحدث مع بروني من جديد. لكنه وجد أنها غادرت الغرفة.

تنهد أليخاندرو، وهو يبعد خصلة من شعره عن وجهه. بعد هذا العناق المليء بالشغف والمشاعر المتأججة، لا يمكنه أن يتخيل أن هذه ستكون النهاية. للمرة الأولى في حياته لم يعلم ما الذي سيفعله أو يقوله، اتصال روبرتو المفاجئ قدم له فرصة للهروب، وهذا ما يحتاجه بشدة. كما أن مغادرة بروني لغرفته خير دليل على أنها بحاجة إلى الهروب هي أيضاً!

لم يستطيع أن يخفي غضبه عندما نزل إلى الطابق الأرضي بعد مرور عدة دقائق، ووجد بروني في القاعة الأمامية. ارتدت سروالاً من الكتان وقميصاً قطنية بيضاء، وسرحت شعرها، وعقدته إلى الوراء بعيداً عن وجهها. لم يظن للحظة أنه سيراها من جديد قبل أن يغادر. في الواقع، تمنى ألا يحدث ذلك. شعر أنه بحاجة إلى بعض الوقت بعيداً عنها، ليفهم ما الذي يحدث بينهما، قبل أن يحاول بحث الأمر معها من جديد.

رأت بروني دهشة أليخاندرو واستياءه بسبب وجودها في الطابق الأرضي. شعرت بقلبها يغوص في ضلوعها بسبب ما أدركته بوضوح. هذا هو الرجل الذي استسلمت لعناقه منذ وقت قصير جداً. الرجل الذي تشاركت معه بعاطفة حميمة لم تعرفها من قبل مع أي رجل غيره. الرجل الذي يبدو الآن غير راغب مطلقاً في التحدث إليها. أدركت الآن أن عناقهما بالنسبة له مجرد نصر جديد. قد يكون أمراً مميزاً لها، لكن بالنسبة إلى أليخاندرو، فلم يعن أي شيء على الإطلاق. مجرد اتصال هاتفي واحد من أخيه بدا كافياً ليبدله من حبيب رقيق لطيف إلى رجل أعمال متحفظ، كما كانت تراه دائماً.

استمر أليخاندرو في تقطيب جبينه، وهو يزفر بقوة، قبل أن يقول: «أدرك أنك تعتقدين أننا بحاجة إلى التكلم، بروني!».

- في الواقع، أعتقد أن من الأفضل لنا أن ننسى بشكل مطلق ما حدث الليلة.

أتريده بروني أن ينسى ما حدث؟ ازداد عبوس وجهه. أينسى تلك المشاعر الرائعة؟ أينسى كم كانت جميلة بين ذراعيه؟ أينسى أن تجاوبها مع عناقه جعله غير قادر على السيطرة على نفسه؟

نظر إلى وجهها بتمعن، لكنه وجد نفسه غير قادر على قراءة أحاسيسها أو عواطفها الخاصة بسبب التصميم الواضح على

ملامحها. أتراها قادرة على النسيان؟ هل هي قادرة على وضع مشاعرها وراءها، عندما يحين الوقت لتعود إلى حياتها السابقة في بريطانيا؟ هل ستتمكن من نسيانه؟ على الرغم من ارتباكه السابق بشأن مشاعره نحوها، وجد أليخاندرو نفسه منزعجاً بشدة من تلك الفكرة بالذات! قال بضيق: «ماذا لو كان من غير الممكن نسيان ذلك؟».

رمته بروني بنظرة حائرة، وقالت: «لا أعتقد...».

توقفت عن متابعة قولها: أن لذلك أهمية ما.

شحب وجهها ما إن فهمت تماماً ما يقصده بقوله، قالت: «ليس هناك من سبب للاعتقاد...».

- وليس هناك من سبب لعدم الاعتقاد أيضاً.

أجابها بذلك بسرعة، فكما يعلم كلاهما، ستبقى بروني برفقة ميشيل طول الشهر، ما يعني أنهما سيتواجدان معاً بكثرة. سألها بقسوة: «أليس كذلك؟».

علمت بروني أن أليخاندرو يخشى أن تتعلق به، وتظن أن هناك مستقبلاً ما لهما معاً. لكن بالطبع، ليس هناك من مجال لذلك. في النهاية، هي ليست بحاجة إلى المزيد من القلق إضافة الى ما يقلقها بشأنه منذ البداية. تساءلت كيف تراه يفكر بها الآن، والأمر الأكثر أهمية، كيف تشعر هي نحوه بعد تلك المشاعر التي نمت بينهما؟

لكي تكون صادقة مع نفسها، عليها أن تعترف أن أي مستقبل لها من دون أليخاندرو سيكون مستقبلاً تعيساً، فمن الواضح أن أليخاندرو لا يبادلها المشاعر.

أجابت بصراحة: «صحيح! لكن ليس هناك من سبب للافتراض بأن الأمور ستتغير. اطمئن!».

- هل أنت واثقة من ذلك؟ وعدتني بألا تكوني مرائية بعد اليوم.

أجفلت بروني من نبرة المرارة الواضحة في صوته، والتي تدل

على أنه يشعر بالغضب منها.

- حسناً! ما الذي تتوقعه؟ ميشيل سيبقى قريبي، وأتوقع أن أكون قادرة على زيارته في المستقبل. سواء أعجبك ذلك أم لا.

اعترف أليخاندرو، أن جوابها له غير مطمئن أبداً. هو حتى الآن لم يعلم شيئاً عن العاطفة التي جعلت بروني تبادله العناق بلهفة. شعر أنه بحاجة ليعرف عن تلك العاطفة ليتمكن من فهم علاقتهما من منظار صحيح. تردد بروني يدل على أن لا أجوبة لديها، هي أيضاً.

قال: «ماذا ستخبرين ميشيل عن غيابي المفاجئ؟».

إنها مشكلة حاولت بروني أن تجد لها حلاً، منذ اللحظة التي أدركت فيها أن أليخاندرو يرغب في الذهاب إلى أستراليا بمفرده.

قالت بنزق: «الحقيقة! سأخبره أنك اضطرت للمغادرة فجأة بسبب عمل ما».

ثم أضافت بازدراء: «أنا متأكدة أن على ميشيل أن يعتاد على ذلك في المستقبل».

تنهد أليخاندرو، وقد نفد صبره من انتقادها المتعمد. قال بسخرية: «هل تفضلين ألا أذهب بروني، وأن نتابع من حيث كنا؟».

تورد وجهها من شدة الضيق، وردت بغضب: «على العكس... لا يمكنني الانتظار حتى ترحل».

ضغط على أسنانه قبل أن يقول: «إذاً، يبدو أننا على الأقل اتفقنا على ذلك».

أجابت بتحدٍ: «لا بد أن هذه هي المرة الأولى».

صممت أنها لن تنهار أمام أليخاندرو. ستفعل ذلك في وقت لاحق، عندما تصبح بمفردها. تعمدت أن تزعجه، فقالت بسخرية: «وماذا تريدني أن أقول لأنطونيا إن أتت إلى الفيلا، أو اتصلت هاتفياً؟».

أجاب أليخاندرو بقسوة: «لن تفعل».

- لربما فعلت.

ابتسمت بحزن لفكرة أن عليها التعامل مع أنطونيا، بعد ذلك التقارب الحميم بينها وبين أليخاندرو. أكد لها أليخاندرو بنبرة لا تحمل أي شك: «أنطونيا ووالدها لن يأتيا إلى هنا أو يتصلا هاتفياً!».

لأنه بالطبع سيقوم بالاتصال بها بنفسه، ما إن يصل إلى أستراليا، ومن المحتمل أن يفعل ذلك قبل وصوله أيضاً. هزت بروني رأسها، وقالت: «حسناً! من الأفضل أن تذهب إذاً. أليس كذلك؟».

أرادت أن يغادر أليخاندرو الآن، قبل أن تبدأ دموعها بالانهمار على خديها، لتسبب الإحراج لها!

- بروني!

حدق أليخاندرو بها بتمعن وحذر معاً.

- آه! حباً بالله أليخاندرو! هل يمكنك الرحيل؟

قالت ذلك بغضب، وهي تضغط بقوة على يديها، لدرجة أنها شعرت بأظافرها تجرح راحتي يديها.

إن لم يرحل الآن ستقدم على عمل يجعلها تبدو حمقاء حتى أمام نفسها.

أدرك أليخاندرو وإحساس بالاحباط يسيطر عليه، أنه الآن عندما حان الوقت ليتركها، لم يعد يرغب في الذهاب. هذا أمر بمنتهى السخافة، في حين أنه منذ دقائق قليلة كان هذا ما يريده أكثر من أي شيء آخر. أراد الابتعاد عنها، ليحاول وهو على بعد آلاف الأميال أن يحلل بمنطق مشاعره نحوها، وكيف سيتصرفان في المستقبل، كونه والد ميشيل وهي عمته.

أخيراً، قال بحزم: «حسناً! تعرف ماريا رقم هاتفي في أستراليا، إن كنت بحاجة للاتصال بي».

قالت بلا أي اهتمام: «أشك أن أحتاج لمثل هذا الأمر».

لم تنظر إليه وهي تتكلم، فيما غدت تعابير وجهها قاسية كالحجر، كأنها لا تستطيع الانتظار لتراه يرحل. رمقها أليخاندرو بنظرة أخيرة غاضبة، قبل أن يخرج من الفيلا، من دون أن ينظر للحظة وراءه. إن نظر نحوها من جديد، سوف يرغب بضمها بين ذراعيه، وينسى كلياً تحفظه وقراره بأن يبقي مسافة بينهما، حتى يفكر بمنطق بمشاعره تجاهها. إنه في الواقع يشعر بشوق دائم لها، حتى من دون النظر إليها!

لم تتحرك بروني بعد مغادرة أليخاندرو... لم تستطع أن تتحرك. مع رحيله المفاجئ، أدركت أمراً هاماً، جعلها تشعر بالخدر في كافة أوصالها: لقد وقعت بغرام أليخاندرو سانتياغو بقوة وبيأس شديدين، وبشكل لا يمكن مقاومته أو تجاهله.

١٤ - مفاجأة مربكة

- أبي يريد التحدث إليك، عمتي برو!

ناداها ميشيل بحماس. ثم سمعت وقع خطواته المسرعة على الدرج، وهو يتجه إلى غرفتها. وقفت بروني مستقيمة على الفور، لأنها كانت تحضر حقيبة لهما للذهاب إلى الشاطىء، راغبة في تمضية فترة الصباح هناك، واستعدت لذلك بارتداء قميص زرقاء فضفاضة من القطن فوق ثوب السباحة. تكررت اتصالات أليخاندرو الهاتفية في الأيام الأربعة الماضية أثناء وجوده في أستراليا، أما السبب الرئيسي لها فهو التحدث إلى ميشيل والاطمئنان عليه، إلاّ أنه كان دائماً يطلب أن يتحدث إلى بروني قبل أن ينهي اتصاله. كانت أحاديثهما متكلفة لا سيما من جهة بروني، وهي تخبر أليخاندرو بالأمور التي قام بها ميشيل في يومه.

- من فضلك ميشيل! هل يمكنك أن تقول له إنني منشغلة الآن، ولا أستطيع الإجابة على الاتصال؟

قالت له ذلك بنعومة، وهي تضع منشفة في حقيبتها، فمجرد معرفتها أن أليخاندرو يتصل بالمنزل أكثر من كافية لتوتر أعصابها.

- لِم لا تخبريني ذلك بنفسك؟

قال أليخاندرو ذلك بنبرة عميقة من ورائها تماماً. استدارت بروني

بسرعة، وهي تشهق. اتسعت عيناها، وهي تنظر إلى أليخاندرو الواقف بقامته الطويلة وجسده القوي عند باب غرفة نومها.

الأيام الأربعة الأخيرة كانت صعبة عليها، لأنها كانت تحاول أن تجد وسيلة للتعامل مع الحب الذي أدركت أنها تكنه لهذا الرجل. الحب القوي العاصف الذي جذبها إليه بقوة زلزال. لكن إن كانت الأيام الأربعة تلك صعبة عليها، فنظرة واحدة إلى وجه أليخاندرو المتوتر أعلمتها، أنها كانت أيضاً صعبة عليه، ولأسباب مختلفة تماماً بالطبع!

شعرت بقلبها يدق بقوة وجنون، لدرجة اعتقدت معها أن أليخاندرو قادر على سماع دقاته أيضاً.

- لماذا لم تحذر... تخبرنا أنك قادم اليوم؟

قالت ذلك بتوتر واضح، وهي تضع يديها وراء ظهرها، كي لا يتمكن من رؤية ارتجافهما. قطب أليخاندرو جبينه، ما إن سمع تصحيحها للسؤال الذي طرحته عليه. نظرة واحدة إلى ملامح وجهها الهجومية، والاستياء الواضح في عينيها الزرقاوين، كافيان لإخباره أنها ليست سعيدة أبداً برؤيته من جديد. هذا أمر مؤسف، بل أكثر من مؤسف، لأنه لم يرغب بأي شيء آخر غير رؤيتها ثانية طوال الأيام الأربعة الماضية! ما إن صعد إلى الطائرة في مطار بالما منذ أربعة أيام، حتى أدرك أنه أقدم على ارتكاب غلطة كبرى، لأنه ابتعد عن بروني. لكن عودته إلى الفيلا في ذلك الوقت ستجعله يرتكب خطأ آخر، فهو ما زال غير متأكد مما يريده منها، لهذا سافر إلى أستراليا كما كان مقرراً، حيث عمل مع أخيه روبرتو على مواجهة الاستيلاء على أعمالهما هناك، وتكلل عملهما بنجاح مثمر جداً. لم يضيع أليخاندرو أي وقت، بل عاد مباشرة الى المغرب. إنه بحاجة ليدعم ميشيل ويطمئنه بوجوده بالطبع. لكنه بحاجة أيضاً إلى رؤية

بروني. . . عاطفة يبدو بوضوح أنها لا تبادله إياها، فملامح وجهها الحذرة خير دليل على ذلك. لوى شفتيه بضيق قائلاً: «كان ذلك قراراً مفاجئاً».

ثم رفع كتفيه، وتابع: «فكرت أن أفاجئكما!».

آه! هذا ما فعله بالتأكيد. اعترفت بروني بذلك، وهي تشعر أن أنفاسها ما زالت متقطعة، بعد أن استدارت ووجدته واقفاً عند باب غرفة نومها، بدلاً من أن يكون على الطرف الآخر من الهاتف كما اعتقدت.

أكد له ميشيل، وهو ينظر إليه بحيوية وفرح: «لقد تفاجأت بعودتك أبي!».

من الواضح أنه سعيد جداً لرؤية والده من جديد. شعرت بروني بالسعادة لرؤية أليخاندرو ثانية، هي أيضاً، لكنها لا تعرف تماماً كيف يفترض بها أن تتصرف تجاهه!

أظهر أليخاندرو من خلال رحيله المفاجيء والتعامل ببرودة معها قبل رحيله أنه نادم على العناق الذي جرى بينهما، وما من سبب يدفعها للاعتقاد أنه بدّل إحساسه ذلك خلال الأيام الأربعة التي قضاها بعيداً عنها. سألته بهدوء: «هل أتيت لتبقى، أم أن هذه مجرد زيارة عابرة؟».

لمعت عيناه، وسألها بنعومة: «ماذا ترغبين بأن تكون؟».

شعرت بروني بأعصابها تنتفض قليلاً، وهي تلاحظ ملامح التحدي في عينيه. بماذا يمكنها أن تجيب عن هذا السؤال بالتحديد؟ إن قالت: مجرد زيارة عابرة، فستبدو كأنها لا تريده هنا، وإن أجابت أنه أتى ليبقى، ستبدو وكأنها تتوق بيأس لعودته. ثبت لها أن أليخاندرو كان صادقاً عندما قال إنها لن تسمع أي خبر من أنطونيا روج أو من والدها أثناء غيابه. بدا واضحاً لبروني أنه فعل تماماً كما

افترضت؛ اتصل بالمرأة الأخرى بنفسه! رفعت كتفيها قائلة: «لا أعتقد أن رأيي مهم في ذلك».

ابتسم أليخاندرو من دون أي مرح، وقال بسخرية: «جواب دبلوماسي جداً، بروني!».

نظر عن قصد إلى قميصها القطنية التي ترتديها فوق ثوب السباحة، وتابع: «أخبرني ميشيل أنكما كنتما على وشك الذهاب إلى الشاطىء».

أجابت بنبرة متوترة: «صحيح!».

هز رأسه، وعلق: «إن انتظرتما خمس دقائق، يمكنني الذهاب معكما».

- آه! لكن. . .

توقفت عن الاعتراض، ما إن رفع أليخاندرو حاجبيه السوداوين بسخرية. تابعت بتوتر: «. . . أليس لديك اتصالات عليك القيام بها، أو أمور يجب أن تفعلها بعد غيابك طوال هذه المدة؟».

إن تمضية فترة الصباح على الشاطىء مع أليخاندرو، ستكون بعيدة جداً عن أي شعور بالراحة. أجاب بصراحة، وهو يحدق إليها من بين أجفانه: «لا! لا عمل لدي».

ببساطة لا فكرة لديها كيف ستتصرف مع الرجل الذي أصبح حبيبها، فمجرد وجودها مع أليخاندرو ثانية يشعرها بالإحراج. آخر ما تريده هو أن تبقى بمفردها معه على الشاطىء، في حين أن ميشيل سيسبح تحت الماء. اقترحت بمرح: «لِم لا تذهب برفقة ميشيل إلى الشاطىء، وهكذا ستحظيان بفرصة تمضية بعض الوقت معاً؟ أنا متأكدة أنني سأجد الكثير من الأمور لأفعلها هنا».

قال أليخاندرو بنعومة: «مثل ماذا؟».

قطبت بروني جبينها، وهي تنظر إليه بإحباط. علمت من ملامح

التحدي على وجهه، أنه مدرك تماماً لترددها في تمضية أي وقت بمفردها معه، وأنه لن يساعدها بأي طريقة ممكنة لتحقق ما تتمناه.

ابتسمت بالرغم عنها، وقالت: «حسناً! أستطيع...».

تابع عنها قائلاً: «لا يهم، بروني! مهما كان ما ستفعلينه، أنا متأكد أنه يمكنك تأجيله».

لم تكن لدى أليخاندرو أي فكرة عما ستكون عليه ردة فعل بروني لدى رؤيته من جديد، لكنه بالتأكيد لم يظن للحظة أنها ستحاول تجنب رفقته. وجوده قربها جعله يدرك أن كل ما يريده هو أن يأخذها من جديد بين ذراعيه، ويعانقها حتى تنسى كل ما في الوجود ما عداه.

قال محدثاً ابنه: «أنت أيضاً تحب أن تأتي بروني إلى الشاطىء معنا. أليس كذلك، ميشيل؟».

شعر على الفور بالندم لأنه استغل حب ابنه لبروني، وحبها له، لأن ميشيل وافق بحماس على مع قاله. تساءل أليخاندرو بإحباط، ماذا تريد بروني منه أن يفعل؟ هل يتوسل إليها لترافقه؟ إنه مستعد حتى للقيام بذلك، إن كان ذلك يحقق النتيجة المرجوة.

وافقت بروني بنعومة: «اذاً، بالطبع سأذهب. سألقاكما في الطابق الأرضي بعد خمس دقائق».

تجنبت النظر إلى أليخاندرو، قبل أن تستدير لتنهي حزم حقيبتها.

نظر أليخاندرو إليها بإحباط. أراد أن يهزها بقوة، لتعود بروني الحنونة الدافئة، التي كانت عليها منذ أربع ليالي مضت. بدلاً من أن يفعل ذلك استدار على نحو مفاجىء، وسار عبر الممر إلى غرفته. لم تقدم له الغرفة أي ملاذ من تخيلاته بشأن بروني. عزاؤه الوحيد إن كان بإمكانه تسميته كذلك هو أن بروني لا تدرك كم يشعر بالندم لأنه تركها فجأة تلك الليلة.

وجدت بروني نفسها على الشاطىء بعد عشر دقائق. كان ميشيل

يسبح تحت الماء مزوداً بآلة التنفس الخاصة، وأليخاندرو مستلق على الرمل بجانبها مرتدياً سروالاً أسود قصيراً للسباحة، وهذا لم يسمح للإحساس بالرعب لدى بروني بأن يسكن ولو قليلاً. إن كان مجرد النظر إليه يجعل دقّات قلبها تتسارع، والحرارة تجتاح جسدها، فأيّ فرصة لديها في تمضية الصباح كله معه من دون الشعور بالتوتر؟

- تبدين مشتتة الذهن قليلاً، هذا الصباح؟

قال اليخاندرو ذلك وهو يمسك بقبضة من الرمال، ويراقبها تنساب بنعومة من بين أصابعه.

مشتتة الذهن؟! لا، بل تشعر بقوة بوجوده.

رفعت كتفيها قائلة: «ما زلت متفاجئة قليلاً لأنك لم تخبرنا أنك ستعود اليوم. هذا كل شيء».

- قلت لك البارحة إن محاولة الاستيلاء قضي عليها بنجاح، وتمت إزالة العراقيل القانونية المترتبة على ذلك.

أجل هذا صحيح لكن لم تعتقد بروني أن نجاح عمله يعني أنه سيعود إلى المغرب في أقرب فرصة ممكنة. اعتقدت أنه ما زال أمامها بضعة أيام قبل عودته.

قالت بنبرة هادئة: «لا بد أنك سعيد لأن الأمور سارت كما ترغب وتشتهي».

هز رأسه، وأجاب: «بالطبع!».

ابتسمت بروني، وعلقت: «أتوقع أنك ستعود إلى إسبانيا لتتمكن من إنهاء كل شيء».

عبس أليخاندرو، وقال بنبرة خالية من أي مرح: «تبدين راغبة جداً في التخلص مني».

- بالطبع، لا!

قال ببرودة: «لا تكذبي، بروني! لم تبذلي أي جهد لإخفاء

انزعاجك من عودتي».

ذلك لأنها... تحب هذا الرجل لدرجة أنها تشعر بالألم من قوة عاطفتها، فسعادتها برؤيته من جديد ممزوجة بخشيتها أن يدرك ما تشعر به نحوه. إن حدث ذلك ستجد نفسها مهانة أكثر وأكثر.

قالت بنعومة: «لا تكن سخيفاً، اليخاندرو! هذا منزلك، وفي النهاية ميشيل ابنك، وانت حر بالعودة في وقت ما».

قال بقسوة: «حماسك يربكني».

أدارت بروني وجهها، وهي تتنفس بقوة. هذا أمر لا يحتمل. في الواقع، الوضع برمته لا يحتمل!

- بروني!

نظر اليخاندرو إليها متأملاً. إنها تبدو جميلة جداً هذا الصباح، فعيناها تشعان بالحياة، وخداها متوردان، أما فمها فيرتجف قليلاً. آه! كل ما يريد القيام به هو أن يجذبها إليه ليضمها بين ذراعيه...

بدت مفعمة بالشوق إليه تلك الليلة، لدرجة أنه وجد نفسه يفكر بها بشكل دائم خلال ساعات العمل الطويلة، عندما غادر إلى أستراليا.

تحول من شعور بالضيق والتوتر لأنه أجبر على تحمل هذه المرأة لمدة شهر كامل، ومن عدم معرفته منذ أربعة أيام بما يريده منها، إلى إدراكه الآن أن مجرد التفكير برحيل بروني من حياته في غضون أسابيع قليلة، أمر لا يستطيع الموافقة عليه أبداً.

تابعت بروني بانزعاج من دون أن تنظر إلى عينيه: «أؤكد لك أنني لن أزعجك بعد اليوم، ولن أوجه لك أي انتقاد».

آه! ليتها تبقى على مشاكستها السابقة فتنتقده وتهاجمه. لقد اعتاد على طريقتها الهجومية تلك، لكنها الآن تبدو منزعجة جداً منه، وهذا يربكه. قال برقة: «لا بد أنك شعرت بالراحة بسبب قرارك هذا».

- بالطبع!

تابعت بنبرة حازمة: «كما أنني متأكدة أن هذا هو شعورك بالتحديد».

هل ما تقوله صحيح؟ اعتاد اليخاندرو ألا يحمل أي شكوك بشأن شعوره حيال أي أمر، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالعاطفة وتعقيداتها، لكن بروني سوليفان عملت ببطء على جرف تلك الثقة خلال الأيام العشرة الماضية، لدرجة أنه لم يعد متأكداً من أي شيء، ما عدا إنه يريدها قربه دائماً.

كرر وهو يضغط على أسنانه: «بالطبع!».

نظر نحو ابنه الذي كان يلعب الآن في بركة بين الصخور، وتابع: «يبدو أن ميشيل تأقلم جيداً أثناء غيابي».

وافقته بروني على ذلك، فهي الوحيدة التي وجدت غيابه أمراً صعباً جداً. لن يكون من السهل تجاهل العواطف التي تكنها له، لكن إدراكها للحب الذي تشعر به نحو هذا الرجل سبب لها أزمة في حياتها وألماً لا يسكن. كيف ستشعر عندما يحين الوقت لتغادر هذا المكان؟ ماذا سيحل بها عندما تبتعد عن أليخاندرو وميشيل؟ هزت رأسها، وهي تنظر إلى أليخاندرو، وسألته: «كنا نتحدث عن عودتك إلى إسبانيا. متى تتوقع أن تعود؟».

صحح لها أليخاندرو بقسوة: «أنت من كنت تتحدثين عن ذلك، لكن ما قلته صحيح. أعتقد أنه حان الوقت لميشيل كي يتعرف على عائلته».

ابتلعت بروني غصة تشكلت في حلقها، وقالت بصعوبة: «متى ترغب في الذهاب؟».

شعرت بمرارة في فمها من مجرد التلفظ بتلك الكلمات

أجاب بدون أي اهتمام: «غداً».

غداً... أبهذه السرعة؟ أليخاندرو سيأخذ ميشيل غداً إلى عائلته،

وسيعمل عل إخراجه تماماً من حياتها . . .

رفع كتفيه، وتابع: «علي القيام ببعض الاتصالات الهاتفية، كما أن هناك بعض الأعمال التي علي إنهاؤها، لكن اتوقع أن أنتهي منها هذا المساء، وهكذا سنصبح أحراراً في المغادرة صباح الغد».

من الواضح أنه لا يرغب في إضاعة أي وقت إضافي هنا. أليس كذلك؟

لوت بروني شفتيها بانزعاج، وقالت: «أن متأكدة أن الآنسة روج ستسعد برؤيتك من جديد هذا المساء، حتى لو كنت ستغادر بهذه السرعة غداً».

نظر إليها أليخاندرو من بين جفنيه شبه المطبقين. لو أنها امرأة أخرى، لاعتبر كلامها ذاك غيرة، لكن بروني تقول ذلك وكأن تلك هي الحقيقة المطلقة.

تنهد قائلاً: «لا رغبة لدي في رؤية أنطونيا قبل أن أسافر غداً».

اتسعت عينا بروني، وسألته: «أحقاً ما تقول؟».

أكد لها بقسوة: «بالطبع!».

ما زال غاضباً من أنطونيا لقدومها إلى الفيلا أثناء غيابه، والتحدث مع بروني بطريقة سببت الضيق والإهانة لها.

- لكن . . . !

- بروني! بدا لي واضحاً منذ البداية أن لديك انطباعاً خاطئاً في ما يتعلق بعلاقتي مع أنطونيا روج.

حرك رأسه غير مصدق، ثم تابع ببرودة: «وبالنظر إلى كوننا أصبحنا أكثر معرفة ببعضنا، أجد أن الاستمرار في سوء الفهم ذاك أمر مهين جداً».

نظرت بروني إليه بتمعن، متذكرة كل المناسبات التي رأته فيها مع المرأة الاخرى، والوقت الذي كان يمضيه برفقة أنطونيا، وحقيقة أنها

أتت إلى هنا لتنصحها بالمغادرة، مع كل ذلك، ألا يفترض بها أن تفكر أنهما مرتبطان عاطفياً؟ مع أن أليخاندرو أنكر وبصورة دائمة أي علاقة عاطفية بينهما.

هزت رأسها، وقالت بهدوء: «آسفة إن أخطأت بشأن ذلك».

قال بضيق: «أحقاً؟ أعتقد أنني قلت لك ذلك من قبل، لكن يبدو أنك تجدين شيئا من السرور بالتفكير بي بالأسوأ دائماً!».

لم يكن هناك أي سرور بالنسبة إلى بروني بشأن التفكير بالمرأة التي تزوج بها أليخاندرو منذ سبع سنوات، ولا بعلاقته مع جوانا أو عشرات النساء اللواتي تعرّف عليهن منذ ذلك الوقت. الإصابة بأزمة قلبية أفضل لها من وصف شعورها فيما يتعلق بأولئك النساء.

- أنت تتحدث بأمور لا معنى لها وغير منطقية، أليخاندور!

قال بغضب، وهو يقف: «لا أعتقد ذلك. سأذهب لأمضي بعض الوقت مع ميشيل، فهو على الأقل يعبر عن الفرح برفقتي!».

ثم أضاف بسخرية: «لن نعود الى المغرب خلال الأسابيع القليلة القادمة، لذا أنت بحاجة لتأخذي كل حاجاتك معك إلى إسبانيا عندما نغادر في الصباح».

قاطعته بروني، وقد قطبت جبينها: «عفواً! ماذا قلت؟».

نظر إليها أليخاندرو، وقال بنفاد صبر: «أنا متأكد أنني أوضحت تماماً ما أردت قوله، بروني! سنسافر غداً إلى إسبانيا عند الصباح».

حدقت بروني به غير مصدقة ما تسمعه. لا يمكن بالفعل أن يتوقع منها أن تذهب برفقته إلى منزله في إسبانيا. لكن لماذا لا يتوقع ذلك؟

قالت له أكثر من مرة أنها تريد البقاء مع ميشيل طوال فترة الشهر الإنتقالية، لكنها لم تفكر أبداً أن تمضي جزءاً من ذلك الشهر في إسبانيا مع عائلة أليخاندرو، أو أنها ستكون خلال ذلك الوقت قد أغرمت به بشكل جنوني.

١٥ - أمسية الوداع

شعرت بروني بأنفاسها تنحبس في صدرها، فهي تعلم أن الابتعاد عن ميشيل بهذه السرعة سيسبب لها العذاب، لكنها تدرك أيضاً أنها لن تشعر بالارتياح مع عائلة أليخاندرو. ونظراً لهذا الانجذاب القوي بينهما، فهي لن تشعر بالارتياح أيضاً لبقائها مع أليخاندرو نفسه.

تنفست بعمق قبل أن تقول: «عندما تأخذ ميشيل معك غداً للتعرف على عائلتك، سيكون الوقت مناسباً لي لأعود إلى إنكلترا».

قاطعها أليخاندرو بقسوة: «ما الذي تقولينه، بروني؟».

نظرت إليه بعينين حذرتين، وأجابت: «أقول إنه الوقت المناسب لي كي أعود إلى بلادي».

- أنت جبانة!

قال ذلك بغضب، وركع على ركبتيه على الرمال قربها، ثم أمسك بذراعها بقوة وهو يتابع: «كيف تجرؤين على الهرب هكذا؟».

أجابت بروني بغضب يماثل غضبه، فألمها ما زال قوياً وكأنه جرح ينزف: «لست أنا من يهرب، أليخاندرو! هل نسيت أن والديّ فقدا ابنهما الوحيد مؤخراً، وهما بحاجة إلي؟».

قال لها ببرودة وهو يحدق بها بعينين ثاقبتين: «ربما نسيت أنت أنك وافقت على البقاء مع ميشيل لمدة شهر، وليس لثمانية أيام فقط».

ثمانية أيام! هل كل ما حدث احتاج لثمانية أيام فقط؟ في ثمانية أيام فقط، حياتها كلها انقلبت رأساً على عقب، وحبها لهذا الرجل بدل حياتها إلى الأبد!

قالت له بصوت مضطرب: «أنت تؤلم ذراعي، أليخاندرو!».

رحيل أليخاندرو المفاجئ منذ أربعة أيام ليس هروباً كما اعتقدت بروني، بل كان حاجة ملحة للابتعاد عنها من أجل أن يحلل ويفهم عواطفه المضطربة.

أبعدها عنه وهو يقول بغضب:

- أنت جبانة، بروني!

أجابته بغضب: «هذه هي المرة الثانية التي تقول لي فيها ذلك الكلام».

حدق بها بإحباط، وهو يجيب: «لأن هذا ما أنت عليه. أنا لا أصدق للحظة واحدة أنك تسرعين بالعودة إلى إنكلترا لتكوني قرب والديك».

- حسناً! لست مسرعة بالعودة إلى إنكلترا لأكون مع أي شخص آخر أيضاً، إن كان هذا ما تقصده!

ليس هذا ما يقصده، فهو يعرف بروني جيداً ليدرك أنها ما كانت لتسمح له بمعانقتها لو أن لديها حبيباً في إنكلترا.

وقف من جديد، مدركاً أنه إن لم يفعل ذلك، فقد يقدم على القيام بأمر قد يندمان عليه معاً. قال لها بصراحة: «إن رغبت بالرحيل، إذاً عليك القيام بذلك بروني، لكن عليك إخبار ميشيل بنفسك أنك سترحلين وتتركينه».

قال ذلك بنبرة حازمة، ثم استدار، وسار بخطى واسعة إلى حيث كان ميشيل يلعب في البركة.

امتلأت عينا بروني بالدموع لدرجة أنها لم تستطع رؤية أليخاندرو

وهو يسير مبتعداً عنها. لكنها تقوم بالعمل الصحيح. أليس كذلك؟ فهي تضع أكبر مسافة ممكنة بينها وبين أليخاندرو، لأن هذا هو المطلوب منها. ليس هناك من مستقبل لهما معاً. ليس هناك أي شيء لهما معاً. الذهاب معهما إلى إسبانيا، والاستمرار في رؤية أليخاندرو، والاستمرار في القيام بدور عمة ميشيل، لن تساعد أي منهما.

أصبح ميشيل مرتاحاً جداً مع والده الآن، ولم يتحدث عن أي أمر آخر طوال الأيام الأربعة الماضية. كما أنهما يتحدثان معاً بسهولة وسعادة الآن. هذا ما رأته بروني ما إن رمشت بعينيها لتبعد الدموع، وتنظر إليهما عن بعد.

يبدو بوضوح أنها الوحيدة التي تشعر بعدم الارتياح بتواجدها قرب أليخاندرو، لأنها تحبه لدرجة أنها تشعر بالألم من جراء ذلك، وهي لا تستطيع النظر إليه من دون أن تشعر بالخوف من أن يشع ذلك الحب من عينيها.

بروني لا ترغب في الابتعاد عن ميشيل! علم أليخاندرو ذلك، وهو يساعد ابنه في جمع أصداف البحر. إنها ترغب في الابتعاد عنه، وهي لا تستطيع أن تتحمل البقاء في أي مكان قربه. ألم يتراجع هو نفسه بالطريقة ذاتها منذ أربعة أيام؟ قرار اتخذه، وبدأ الآن يندم بعمق عليه. اعترف بذلك، وهو يشعر برغبة جامحة بالاحتفاظ ببروني بجانبه. يريدها أن تكون موجودة لأجله ليتحدث إليها، ليعود إلى المنزل لأجلها، ليعانقها وليبادلها الغرام.

بعد أربعة أيام لم يتمكن خلالها من إبعادها عن تفكيره، أدرك أنه يريد الاحتفاظ ببروني له وحده. لكن بروني أظهرت بوضوح كلي أنها لا تريد البقاء معه، وأنها فعلاً تريد الابتعاد عنه غداً، ومن دون أي نية بالعودة ثانية.

كيف يمكن له أن يسمح بحدوث ذلك؟ هل لديه أي خيار آخر؟

* * *

- هل اتصلت بوالديك؟

نظرت بروني عبر الشرفة إلى أليخاندرو، وانحبست أنفاسها في حلقها، بسبب جاذبيته ووسامته الطاغية، وهو يرتدي بذلة سوداء رسمية وقميصاً بيضاء كالثلج. ما زال شعره رطباً من الاستحمام قبل العشاء.

عشاء كانت تفضل ألا تنضم إليه، لكنها تعلم أنه سينعتها بالجبن من جديد، إن حاولت أن تعتذر وتجد سبباً لعدم الحضور.

قالت وهي تسير عبر الشرفة لتصل إليه: «أجل!».

بدت هادئة وأنيقة، وهي ترتدي ثوباً قشدي اللون، يصل إلى ركبتيها، ويظهر سمرة بشرتها، التي اكتسبتها خلال الأيام المنصرمة.

سكب لها أليخاندرو شراباً بارداً، قبل أن يرفع نظره إليها ويسألها: «هل شعرا بالسعادة لعلمهما بعودتك غير المتوقعة؟».

أجابت بصدق، وهي تجلس: «لم أخبرهما بذلك».

قد يحتاج الأمر إلى شهور وربما لسنوات، حتى يتقبل والداها موت طوم وجوانا، لكنهما بدوا أفضل بكثير عندما تحدثت إليهم في وقت سابق عبر الهاتف. أكد لها والدها أن أمها أنهت علاجها الآن، وأنها تفكر بالعودة إلى عملها في المكتب، حيث عملت سكرتيرة في السنوات العشر الأخيرة.

بدا الحديث معهما مطمئناً وإيجابياً جداً، لا سيما بعد أن أكدت لهما أن علاقة ميشيل بوالده تطورت فعلاً، وهكذا لم تحاول ببساطة أن تخبرهما أنها سترجع إلى بلادها في الغد.

في الواقع، لم تكن قادرة على التعهد لنفسها أنها ستغادر بالفعل عندما يحين الوقت لتفعل... وأن تترك أليخاندرو.

ضاقت نظرة أليخاندرو وهو يحدق بها بقوة. إنها تبدو هادئة وبعيدة في ثوبها الأنيق. شعرها مرفوع إلى الأعلى، وهذا ما يزيد أناقتها وتحفظها. إنها لا تشبه أبداً المرأة المتحررة الدافئة التي تركها فجأة منذ أربع ليالٍ.

رفع كتفيه، وهو يسألها: «هل تعنين بذلك أنك بدلت رأيك؟».

- آه، لا!

قالت ذلك بحزم، قبل أن ترشف القليل من شرابها، وتتابع: «لا أعلم بالتحديد كيف سأتحدث عن الأمر مع ميشيل، لذا فكرت أنه علي أن أتحدث معه أولاً، قبل أن أذكر أمر عودتي لوالدي».

زفر أليخاندرو باستياء، وقال: «يبدو إذاً أنك متحفظة معي فقط».

- اعتقدت أنك ستشعر بالسعادة لأنني سأرحل، وقد تشعر بالأمان والراحة أيضاً.

- هذا غير صحيح.

بدت نبرة صوته أقوى بسبب غضبه. لمعت عيناه بشيء من الخطر، وهو يتابع: «بروني! أنا وأنت أصبحنا مقربين من بعضنا...».

قاطعته بقوة، وقد تورد وجهها من شدة الغضب: «وهذا أمر أردت أن تنساه، عندما غادرت على نحو مفاجيء!».

- لكنني لم أنسَ!

أعاد انتباهه بشكل كلي إليها، وهو يجلس بتوتر على كرسيه، ويقول: «في الواقع، لم أنسَ ذلك مطلقاً، وأعتقد أنك لم تفعلي أيضاً».

أغمضت بروني عينيها لبرهة، ثم قالت: «حاولت أن أفعل».

- لكنك لم تنجحي. أليس كذلك؟

أردف أليخاندرو بنبرة صادقة متابعاً: «بروني! هذا أمر مهم جداً».

توقف عن الكلام ما إن سمع صوت سيارة تقترب من الطريق الخاص للفيلا. أظلم وجهه من إمكانية مقاطعتهما في هذا النقاش الهام.

سمعت بروني صوت محرك السيارة أيضاً، ولم يكن هناك داعٍ لتتساءل عن هوية الزائرة، زائرة أليخاندرو!

من الواضح أن لدى أنطونيا روج أفكاراً خاصة بها بشأن رؤية أليخاندرو هذا المساء.

علمت أنها حزرت هوية الزائرة، ما إن توقفت السيارة، وسمع وقع حذائها ذي الكعبين العاليين على الممر الموصل إلى الدرج.

تمتمت بروني بسخرية: «يبدو أن لديك ضيفة هذا المساء».

سمعت أليخاندرو يتمتم ببضع كلمات باللغة الإسبانية، وهو يقف ببطء. بدا وجهه قاتماً من شدة الغضب.

نظر إلى حيث تجلس بروني، وعيناه تلمعان. قال بقسوة عندما ظهرت أنطونيا عند الباب وراء ماريا، التي راحت تنظر إليه باعتذار: «أؤكد لك أنها لن تمكث طويلاً».

وقفت بروني قائلة: «أعتقد أن علي الاعتذار والمغادرة».

- ستبقين تماماً حيث أنت!

وضع أليخاندرو يده على ذراعها، ليؤكد ما يقوله، وهو ينظر مقطب الجبين إلى الجميلة أنطونيا روج. قال باقتضاب: «ما الذي تفعلينه هنا، أنطونيا؟».

سارت المرأة وهي تبتسم نحو أليخاندرو، وبدا بوضوح أنها تريد معانقته.

شعرت بروني بانقباض في معدتها من البرودة الواضحة في نبرة صوته، وعلمت أنها كانت لتنكمش على نفسها لو أن أليخاندرو تحدث معها بهذه الطريقة.

لكن ذلك لم يؤثر أبداً على أنطونيا روج التي استمرت في الابتسام، واثقة من جمالها الطاغي وقدراتها في ثوب أحمر ضيق، يلتف حول جسدها، ويظهر تماماً جمال بشرتها السمراء وعينيها السوداوين. تمتمت بصوت مغناج بعد أن رمقت بروني بنظرة تحدٍ، كأنها تطلب منها الانصراف: «أفضل أن نكون بمفردنا، أليخاندرو!».

ضغط أليخاندرو بيده على ذراع بروني، ما إن شعر برغبتها في النهوض والفرار. ضاق ذرعاً من مخططات هذه المرأة وملاحقتها له. قال مؤكداً لأنطونيا: «لا شيء يمكن أن تقوليه لي ولا تستطيع بروني سماعه».

ابتسمت أنطونيا له ابتسامة واثقة، وأجابت: «أنا متأكدة أن ما سنقوله لبعضنا لا يهم الآنسة سوليفان مطلقاً، أليخاندرو!».

قال بانزعاج: «على العكس تماماً. أشعر أنه من المهم جداً أن تسمع بروني ما سأقوله لك».

لوى شفتيه باستياء، ما إن نظر إلى بروني، ورأى كم تشعر بعدم الارتياح لوجودها هنا. راحت عيناها الزرقاوان تتوسلانه كي يدعها ترحل، لكنه نداء لا يستطيع الاستجابة له. لديه الكثير من الأمور التي يريد أن يقولها لبروني الليلة، قبل أن تغادر في الغد، وحضور أنطونيا غير المرغوب فيه، سيساعده في توضيح أحد هذه الأمور.

جذب بروني إلى جانبه، قبل أن تستدير لمواجهة أنطونيا. ظهرت القسوة في عينيه البنيتين، ما إن أظهرت أن هناك علاقة حميمة بينهما بدلالها ونظراتها. قال ببرودة: «كنت على علاقة عمل مع والدك أنطونيا، ولا شيء بيننا غير ذلك».

أضاف بضيق وكأنها تكلمت: «لم يكن هناك أي علاقة بيننا، ولا شيء يتعدى الصداقة بين شخص وابنة شريكه في العمل».

في هذه اللحظة شعرت بروني بنفسها تنكمش راغبة في الابتعاد،

قبل أن تشاهد أي عرض لتواجد علاقة حميمة بين أليخاندرو وأنطونيا، لكن تصميم أليخاندرو الواضح بأن يثبت لها أنه لم يكن هناك أي علاقة بينه وبين أنطونيا، جعلها تتوقف عن الاختباء. رفعت نظرها إليه متسائلة. نظر إليها أليخاندرو للحظة قبل أن يحدق من جديد بالمرأة الأخرى. عادت البرودة تسيطر على ملامح وجهه، وهو يقول: «لكن حتى علاقة العمل مع فليبي انتهت أنطونيا، بعد أن علمت بزيارتك إلى هنا للتحدث مع بروني، في حين كنت تعلمين أنني سأكون غائباً في بالما بسبب موعد عمل لي مع والدك. خلال تلك الزيارة قمت من تلقاء نفسك بإعلام بروني أنه غير مرغوب بها هنا».

أضاف ما إن بدأت بالإجابة باللغة الإسبانية: «تحدثي بالإنكليزية أنطونيا! أريد أن تعلم بروني بالتحديد كل ما نقوله لبعضنا».

سألته: «هل أخبرتك أنني قلت ذلك؟».

ضحكت ضحكة لا مبالية، ثم رمت بروني بنظرة حقد، وهي تتابع: «أليخاندرو! يمكنني أن أؤكد لك...».

أجاب ببرودة: «ليس هناك من حاجة لتؤكدي لي أي شيء أنطونيا. علي أن أختار من أصدق بينكما، وأنا اخترت بروني».

نظرت أنطونيا بقسوة وغضب إلى بروني، وقالت: «لقد سحرتك هذه المرأة بدون أي شك من خلال دعوتها لك إلى سريرها».

قال أليخاندرو بنبرة باردة كالثلج: «أنت تتمادين كثيراً، أنطونيا!».

- فقط لأنني أهتم لك، أليخاندرو!

أصبح صوتها ناعماً فجأة، وهي تنظر إليه وتتابع: «بالكاد اقترحت على الآنسة سوليفان ذلك اليوم، أن من الأفضل لو تغادر، وبأنها ليست مثلنا ولا من نوعنا».

قال بسخرية واستياء: «أشكر الله أنها ليست من نوعك. عليك المغادرة الآن أنطونيا، كما أنك لن تعودي ثانية إلى هنا، وبالتأكيد لن

تتحدثي مطلقاً مع بروني بذلك الأسلوب الذي أقدمت عليه من قبل».

شعرت بروني برجفة في عمودها الفقري بسبب الغضب الواضح في نبرة صوت أليخاندرو، وعلمت من شحوب وجه أنطونيا روج أنها أدركت تعذّر مواصلة الكلام معه. لكن ذلك حدث للحظة واحدة، لأن أنطونيا روج رفعت ذقنها بتحد واضح، وظهر على ملامح وجهها التكبر والكره وهي تنظر إليهما معاً. قالت له بنبرة غاضبة وحاقدة: «أنت أحمق، أليخاندرو! مع علاقات والدي في عالم الأعمال، والمال الذي سأرثه في نهاية الأمر كوني طفلته الوحيدة، كنا لنشكل زوجين رائعين. بدلاً من ذلك اخترت أن تعاشر هذه... هذه ال...».

قاطعها أليخاندرو محذراً: «انتبهي لألفاظك، أنطونيا! أنت تتحدثين عن امرأة أكن لها الكثير من التقدير... امرأة نزيهة وصادقة».

ثم أضاف ببرودة: «وهذه صفات يبدو بوضوح أنها غريبة عنك وبشكل مطلق».

لم تستطع بروني إلا أن تحدق متعجبة بأليخاندرو.

بعد نظرة مليئة بالحقد والغضب باتجاه بروني، استدارت المرأة الأخرى، وسارت بانزعاج مغادرة المكان.

أليخاندرو يكن لها الكثير من التقدير؟ ويعتقد أنها امرأة نزيهة وصادقة؟!

أصبحت أكثر ارتباكاً وحيرة. لماذا شعر أنه بحاجة ليجعلها تشاهده وتسمع بنفسها كل تلك الأمور التي قالها لأنطونيا روج؟

١٦ - حبيبتي... زوجتي... وأم أطفالي!

تابعت بروني مراقبة أليخاندرو، ما إن بدأ يسير بخطى واسعة على الشرفة وتعابير وجهه غامضة، لدرجة أنها ترددت في طرح أي سؤال يطوف في رأسها. ماذا لو كان أليخاندرو يريدها أن تعرف أنه رجل شريف كما ادعى دائماً، فقط لأنه والد ميشيل؟ أهذا هو السبب الذي دفعه ليجعلها شاهدة على ذلك الحديث مع أنطونيا روج؟ ماذا لو.....؟

توقف أليخاندرو فجأة، لينظر إليها، ويقول بنبرة حزينة: «ما الذي تفكرين به الآن، بروني؟هل ما زلت غير مقتنعة ببراءة علاقتي مع أنطونيا؟».

هزت بروني رأسها، وأجابت: «ما يشغل بالي الآن، لماذا تعتقد أنني بحاجة إلى سماع ذلك؟».

نظر أليخاندرو إليها بتمعن. أراد أن يرى إشارة ما في تصرفاتها، تدل على أن عدم وجود علاقة له بأنطونيا، تعني شيئاً ما لبروني، لكنه لم يستطع أن يقرأ في تعابير وجهها سوى الفضول والاستغراب. حسناً! اندفع بما فيه الكفاية حتى الآن، وهو مدرك تماماً لخطر أن تتركه بروني غداً، وتعود إلى إنكلترا. لن يدعها ترحل من دون أن يخبرها على الأقل عما يشعر به نحوها، وما سيحدث بعد أن ينتهي

من اعترافه أمر يعود بالمطلق إلى بروني. إنه رجل معتاد على اتخاذ قراراته، والتصرف بعدئذٍ على ضوء تلك القرارات، حتى لو لم تكن النتيجة كما يرغب ويتمنى. تنفس أليخاندرو بعمق، ثم قال، ما إن لاحظ أن بروني لا تزال تنظر إليه بحيرة وفضول: «علينا أن نعود إلى البداية من جديد، لكي أتمكن من شرح ما حدث لك. لذا سنعود إلى علاقتي مع جوانا».

قطبت بروني جبينها وقالت: «ألم نتحدث بما فيه الكفاية عن ذلك؟».

- لا! تحدثت عن علاقتي بها وعن شعور جوانا بشأن تلك العلاقة، لكنني لم أتحدث عن دوافعي، وحقيقة أنني تزوجت من امرأة أخرى بعد ثلاثة أشهر. لا! لا أعتقد أننا بحثنا هذه الأمور.

لا، لم يفعلا. لكن بروني ليست متأكدة أنها تريد سماع المزيد. أي فائدة ترجى من ذلك الآن؟

ابتسم أليخاندرو ابتسامة خالية من أي مرح، وتمتم: «أنت تفضلين أن تستمري في التفكير بي كرجل معتاد على مصاحبة النساء ثم نبذهن».

شعرت بروني بالحرارة تجتاح جسدها، وتورد خداها. قالت: «لم أقل ذلك مطلقاً».

أكد لها باستياء: «وجهك يفصح عن ذلك».

ثم أضاف بحزن: «اعتقادك أنني أرغب في إبعادك بالطريقة نفسها تقول ذلك أيضاً».

ابتلعت بروني غصة وهي تنظر إلى ملامح وجهه الحزينة. عمل بسرعة على إخفاء ذلك الحزن بقناع من الكبرياء والتفاخر كما هي عادته دائماً.

تابع قائلاً: «كما حزرت بدون شك، كنت مخطوباً لفرانسيسكا،

عندما التقينا أنا وجوانا منذ سبع سنوات. كان زواجنا مقرراً، ولم يكن زواجاً قائماً على الحب والرغبة بيننا. قرر والدانا ذلك الزواج ونحن لا نزال طفلين. إنه زواج بين عائلتين تتمتعان بالثروة والسلطة، أكثر مما هو زواجٌ بيني وبين فرانسيسكا».

هز رأسه، وأكمل: «التقيت بجوانا في أستراليا، في وقت كنت أحاول فيه أن أقرر ما هي الطريق الأفضل لأخرج نفسي من خطبة، لم أعد ارغب بها».

- أليخاندرو!

- هل تجاملينني قليلاً، وتسمحين لي أن أخبرك بهذه الأمور، بروني؟ ستحظين بالكثير من الفرص بعد أن أنتهي لكي تنتقديني وتهاجميني.

ما أخبرها به الآن كافٍ لجعلها تبدل بعضاً من الآراء التي شكلتها عنه، قبل ترافق ميشيل إلى المغرب.

- علمت جوانا بأمر خطوبتي من فرانسيسكا. تحدثنا معاً عن الأمر. لم تستطع حتى أن تتخيل الزواج من أحد ما إن لم تكن تحبه.

تنهد قبل أن يتابع: «لم نكن أنا وجوانا مغرمين ببعضنا، لكنها ساعدتني لأفهم أنه علي التحدث مع فرانسيسكا، لأرى إن كانت قادرة على إنهاء تلك الخطوبة. لكن قبل أن أتمكن من القيام بذلك، تلقيت اتصالاً عاجلاً من إسبانيا. تعرض والدي لأزمة قلبية، وأصبح مجرد التفكير بإثارة فضيحة كتلك أمراً مستبعداً، لأنه كان مريضاً جداً. هل يمكنك تفهم ذلك؟».

بالطبع! يمكنها أن تتفهم الأمر، فهي تعلم أن تلك المصاهرات المنظمة قوية وملزمة. إنها تنظم عادة من أجل تقدم العائلة من دون الاهتمام لسعادة الشاب والفتاة اللذين سيتزوجان.

- تزوجت من فرانسيسكا، وكلاكما مكرهان على ذلك. بالطبع،

أنا أوافق على مع قالته جوانا. لا أستطيع تخيل أمر أسوأ من هذا.

هز أليخاندرو رأسه قائلاً: «كان زواجاً بائساً منذ البداية. حاولنا معاً... أرادت فرانسيسكا أن تكون ابنة مطيعة. هل تفهمين ذلك؟».

- وأنت أردت أن تكون ابناً مطيعاً.

اعترفت بروني، وهي تحاول كبح الغضب الذي تشعر به نحو والديهما، لأنهما أجبراهما على ذلك الزواج.

هز رأسه، وقال: «وأنا أيضاً أردت أن أكون ابناً مطيعاً. كما أنني حاولت أن أكون زوجاً صادقاً. سواء صدقت ذلك أم لا، بروني، فقد كنت زوجاً مخلصاً».

- لِم لا أصدقك، أليخاندرو؟

تنهد، وأجاب: «لأسباب عديدة. أولاً: لم أكن مخلصاً خلال خطوبتي، فأقمت علاقة مع جوانا. كما كان لدي العديد من العلاقات الغرامية منذ انتهاء زواجي».

لن يوفر على نفسه أو عليها أياً من التفاصيل المهمة. فكرت بروني بذلك في سرها، في حين أنها تعلم أنه ليس من النوع الذي يرغب في التحدث عن نفسه، وهذا ما جعلها تبدأ بالتساؤل إن لم يكن هناك أي هدف وراء هذا التفسير كله.

رفع أليخاندرو كتفيه قليلاً قائلاً: «لسوء الحظ! لم تكن فرانسيسكا زوجة وفية، لكن من يستطيع أن يلومها؟ كانت في التاسعة عشرة من عمرها، متزوجة من رجل لا تعرفه، ولا تحبه. في أقل من سنة على زواجنا، أصبح لديها أكثر من عشيق».

قاطعته بروني بصوت مضطرب: «ما الذي حدث لفرانسيسكا، أليخاندرو؟».

- توفيت جراء حادث مع صديقها. كانا ثملين، وهي حامل منه.

شهقت بروني مما سمعته. نظر أليخاندرو إليها، وسألها: «ألن

تسألي عن الطفل؟».

أصبحت بروني تعرفه بصورة أفضل الآن، وهي لا تشك أنه كان مخلصاً لزوجته بعكسها تماماً.

ابتسمت له، وقالت: «أظن أنه لم يكن هناك علاقة حميمة بينكما».

شعر أليخاندرو أن شيئاً من التوتر المسيطر عليه قد زال. ما إن أدرك ذلك، حتى علم كم كان متوتراً. أن تصدقه بروني أمر مهم جداً له، أكثر أهمية من أي أمر آخر صادفه في حياته.

قال بصوت كأنه صدى: «لأنني لم أكن حبيبها. أقمنا علاقة زوجية بيننا في الأشهر الثلاثة الأولى من زواجنا، ولا أعتقد أن أحد منا كان سعيداً بتلك العلاقة».

قال ذلك بحزم، متذكراً تلك الأشهر، وهو يحاول أن يجبر نفسه على خلق عاطفة من الحب نحو زوجته، لكن ذلك لم يحدث أبداً. تابع قائلاً: «لكن بعد عناقنا منذ أربعة أيام...».

- أليخاندرو!

- كنت مخطئاً بتركك بهذه الطريقة، بروني.

أكمل بقوة: «عذري الوحيد هو أنني اعتقدت أن ذلك أفضل لكلينا. لم أفهم ما الذي يجري بيننا. لكن الأيام الأربعة التي أمضيتها بعيداً عنك، جعلتني أفكر بك بشكل دائم، وبالوقت الذي أمضيناه معاً. هل تريدين أن تعرفي لماذا، بروني؟».

نظرت بروني إليه متسائلة، فهي غير متأكدة بعد مما يريده منها، لكنها لم تشك للحظة أنه صادق. ألا تدين له على الأقل، بأن تكون صادقة معه؟

أجابت بصوت مضطرب: «أجل! أجل أليخاندرو، أريد أن أعرف لماذا فكرت بي طوال الأيام الأربعة الماضية».

قال لها بحنان واضح: «لأن الوقت الذي أمضيناه معاً كان جميلاً. إنه أجمل ما حدث معي في حياتي كلها».

شعرت بروني بغصة في حلقها، وامتلأت عيناها بالدموع الحارة. لأن وجودها مع أليخاندرو كان أجمل تجربة لها هي أيضاً. تحرك أليخاندرو ليمسك بيديها، ثم وضع يده على شعرها ليبعده عن وجهها، وهو يحدق بها متابعاً: «أقسمت بعد زواجي الكارثي أنني لن أتورط ثانية مع امرأة، بمثل هذا الأمر، لكن بعد أن تعرفت عليك، شعرت بالخوف من الإحساس الذي أكنه لك. لكن من فضلك! صدقيني بروني، عندما أقول لك إنني لم أفكر بأي شيء غيرك طوال الأيام الأربعة. أردت أن أكون قربك من جديد، وأن أضمك إليّ».

رفعت بروني نظرها إليه، وقالت: «بدوت غاضباً جداً، قبل أن تغادر».

هز رأسه وقال: «لم أكن غاضباً، بل شعرت بالارتباك».

لم تفكر بروني بالأمر هكذا، كل ما أرادته أن تكون مع أليخاندرو، الرجل الذي تحبه.

شد أليخاندرو بذراعيه حولها، وقال: «بروني! لا أريدك أن تغادري في الغد».

انحبست أنفاسها في صدرها، وهي تنظر إليه... إلى العاطفة التي تشع من عينيه اللطيفتين، عاطفة علمت أنها صادقة وثابتة.

- أستطيع الذهاب معك وميشيل إلى إسبانيا للفترة الباقية.

- ليس هذا ما أقصده، بروني!

أصبح صوته أكثر حزماً، وهو يتابع: «ما زلت حتى الآن أجد هذا الأمر صعباً عليّ!».

أبعد يديه عنها، ثم مرر يده في شعره الأسود الكثيف، قبل أن يتابع: «حاولي أن تفهميني، بروني! لم أغرم يوماً بأي امرأة في حياتي

كلها، وكنت مصمماً ألا أفعل ذلك أبداً بعد زواجي الفاشل المؤلم».

- لم أطلب منك أن تحبني، أليخاندرو!

- ما من داع لتطلبي.

استدار لينظر إليها بحب واضح جداً، وهو يتابع بنبرة مرتجفة قليلاً: «لأن الأيام الأربعة الأخيرة بعيداً عنك أثبتت لي أنني أحبك بروني أكثر من حياتي كلها... أكثر من أي شخص وأي شيء. وفكرة أن تتركيني غداً، أو أن تتركيني يوماً، أمر لا أستطيع تقبله أو حتى التفكير فيه».

حدقت بروني به، بالرجل الواثق من نفسه المتحفظ، الذي أحبته من أعماق قلبها، بالرجل الذي لم يعد متحفظاً أبداً أو واثقاً... شعرت بالدفء يختلج فيها، ويمسح كل الخوف الذي كانت تشعر به من فكرة الابتعاد عنه والعيش بدونه. أليخاندرو يحبها! أليخاندرو ميغيل دييغو سانتياغو يحبها!

بعد الطريقة التي تركها بها منذ أربعة أيام، لم تحلم مطلقاً، ولم تبدأ حتى بالأمل أبداً، أنه يمكن أن يبادلها الشعور الذي تكنه له. لم تفهم في ذلك الوقت، أن هروبه كان بالنسبة إليه مجرد محاولة لحماية نفسه. لكنه اليوم يقول لها إنه يحبها أكثر من أي شيء آخر وأكثر من أي شخص آخر. ها هو يواجهها ويدافع عن نفسه بقوة، وكأنه يخاف من الألم الذي ستسببه له إن قررت الرحيل.

تحركت بروني لتقف أمامه، كاد جسداهما يتلامسان وهي ترفع نظرها لتحدق بوجهه، قالت هامسة: «أحبك أنا أيضاً، أليخاندرو! إن فكرة الابتعاد عنك بدت لي صعبة جداً».

لم تستطع أن تكمل كلامها، لأن أليخاندرو رفعها بين ذراعيه، وضمها بقوة إليه، ثم عانقها بقوة، ليقضي على القلق الذي شعر به طوال الأيام الأربعة لفراقهما.

هذا ما كانت بروني بحاجة إليه أيضاً. لم تُخفِ شوقها، وهي تبادله العناق بحرارة، وذراعاها تحيطان بكتفيه، أما أصابعها فلامست بنعومة شعره الأسود عند عنقه. أراد أليخاندرو أن يبقيها قربه، فبروني تمثل الشعلة في حياته والفرح والإحساس بالوجود، اللذين كان يبحث عنهما دائماً.

تنفس بعمق، وهو يرفع رأسه أخيراً، وينظر إلى وجهها المتورد. قال متعجباً: «أنت تحبينني!».

علم أن ما قالته صحيح، فبروني الصادقة لا يمكن أن تقول له سوى الحقيقة، وهذا ينطبق على شعورها تماماً كما ينطبق على كلامها.

ابتسمت له قائلة: «بالطبع أحبك، أليخاندرو!».

حركت أصابعها قليلاً حتى لامست خده، وتابعت: «أنت كل ما يمكن أن أفكر به وأريده في الرجل الذي أحبه. أنت ابن مميز، وأب عاطفي وحنون، ورجل نزيه في كل الأمور، حتى في علاقاتك العاطفية».

قاطعها وهو ينظر إلى وجهها: «وبالنسبة لك، بروني! من أنا بالنسبة لك؟».

ابتسمت بمرح وقالت: «هذا أمر سهل جداً، أنت الرجل الذي سأحبه طوال حياتي».

انحبس النفس في حلقه من الجملة التي تفوهت بها، والتي تعني الكثير له.

قرر أليخاندرو منذ زمن بعيد أن الزواج والحب لا يناسبانه. فرانسيسكا تزوجت به، لكنها لم تحبه. والنساء اللواتي تعرف عليهن قبلها وبعدها، كن يأخذن منه كل ما يمكن أن يقدمه لهن، لكنهن لم يقدمن له الحب. وحدها بروني أعطته الحب... كل الحب، من

دون أن تطلب أي شيء بالمقابل ما عدا حبه، وهو يريد أن يعطيها أكثر من ذلك! يريد أن يعطيها كل ما له. وكل ما يمكن أن يكونه. قال بصدق وبنبرة مليئة بالعاطفة: «هل تتزوجين بي، بروني؟».

ضمها بقوة إليه، وما إن توترت وهي تنظر إليه بانبهار حتى تابع قائلاً: «ماذا تعتقدين، حبيبتي؟ أتظنين أنني سأخبرك أنني أحبك، وأصغي إليك تقولين لي إنك تبادليني ذلك الحب، وبعد ذلك لا أكرم هذا الحب على الأقل بما قدمته للمرأة التي لم تحبني ولم أكن أحبها؟».

هزت بروني رأسها قائلة: «لم أفكر بأي شيء. لم أفكر أبداً... لم أحلم حتى أنك قد تحبني يوماً».

قطب جبينه، وقال: «لو لم أتعرف عليك بروني، لما عرفت ما هو الحب. هل تعتقدين حقاً أنني سأسمح لحب رائع كهذا أن يهرب مني، وأن أقدم لك أي شيء أقل من الزواج؟».

لم تعلم بروني ماذا عليها أن تتوقع بعد أن اعترفت له أنها تبادله الحب، فهي تعلم أن أليخاندرو لن يقدم على الزواج من جديد. قالت وهي تهز رأسها: «لكن... أليخاندرو! قلت لي إنك لن تتزوج ثانية».

- من امرأة لا تحبني... لا! لن أتزوج أبداً.

أكد لها أليخاندرو ذلك بتفاخره القديم المعهود، ثم أحاط جسدها بذراعين كأنهما من فولاذ، قبل أن يتابع: «لكنك مختلفة، بروني! في الوقت القصير الذي تعرفت به عليك، أصبحت الهواء الذي أتنشقه، والعطر الذي يلون حياتي، ومصدر وجودي. لن أسمح لأي شيء أو لأي شخص أن يقف بيننا من جديد».

إنه يتحدث عن أنطونيا روج أو عن أي امرأة أخرى مثلها. نساء يردن فقط أن يأخذن ماله، ويتمتعن بصحبته، لا أن يحببنه كما

يستحق، وكما تحبه بروني.

- إن لم توافقي على الزواج بي لأجل الحب، عندها سأحاول أن أقنعك بالزواج بي من أجل مصلحة ميشيل.

رفع حاجبيه بمكر، وهو ينظر إليها ويبتسم. لكن بروني استطاعت رؤية المرح الكامن في عينيه الرماديتين، والسخرية من النفس ممزوجة بتصميم قوي. علمت أنه سيعتمد كل الوسائل كي يقنعها.

قالت تسخر منه: «أتقصد زواجاً توافقياً؟».

- زواج سيعطيني الحق بأن أضمك إلي، وأن أحبك، وأن أبقى قربك كل ليلة حتى آخر يوم في حياتنا.

- آه... لا، أليخاندرو!

أكد لها أليخاندرو بحزم: «آه! بلى، بروني!».

هزت رأسها، وقالت: «إن كان هناك من سبب واحد للزواج بك أليخاندرو، هو أنه سيصبح لدينا سرير كبير ذو أعمدة لتتشارك به ساعة نشاء».

مال برأسه بسخرية معلقاً: «أهذا هو شرطك الوحيد؟».

ضحكت بصوت عالٍ، وقالت تؤكد له بسعادة: «لا شروط لدي، أليخاندرو! سأتزوج بك، وسأحبك دوماً، حتى لو كنت تعيش في كوخ عند آخر الشاطىء حتى آخر يوم من عمري!».

رمت بذراعيها حول عنقه، وتابعت: «أحبك، أليخاندرو ميغيل دييغو سانتياغو. أحبك... أحبك!».

ضمها أليخاندرو إليه بقوة أكبر، وكأنه يرغب بأن يصبحا شخصاً واحداً. فهو يعلم أنها نصفه الآخر، والمرأة التي ستكمل حياته، والتي ستجعله إنساناً كاملاً.

* * *

- جوانا مرسيدس سانتياغو وروبرتا ماجدلينا سانتياغو!

تمتمت بروني بعاطفة قوية، وهي ترفع نظرها عن ابنتيها اللتين ولدتا حديثاً، لتنظر إلى وجه الرجل الذي تحبه بشكل تعجز الكلمات عن التعبير عنه.

أليخاندرو! زوجها، وحبيبها، وصديقها المفضل. والآن، بعد سنة من زواجهما تقريباً، أصبح والد ابنتيهما التوأمين. نظر إليها أليخاندرو بتعاطف شديد، وقال: «إنهما حقاً جميلتان، بروني! لكنهما ليستا بجمال وفتنة أمهما!».

ثم هز رأسه، وتابع: «لن أتحمل أن أراك تعانين مجدداً عزيزتي».

ضحكت بروني، وقالت تؤكد له بنعومة: «الولادة ليست معاناة، حبيبي!».

سنة من الزواج خلقت بينهما رباطاً من الحب عميقاً جداً، لا يمكن أبداً أن ينفصم. أضافت إليه ولادة ابنتيهما قوة وصلابة بعد أن أصبحا والدي ميشيل أيضاً.

تقبلت عائلة أليخاندرو المحبة بروني، كما تقبلت عائلتها أليخاندرو، وسعدوا جميعاً باكتشافهم لبعضهم البعض.

مدت بروني يدها، ولمست خد زوجها. مررت أصابعها على خده لتمسح القلق والتوتر اللذين عانا منهما، وهو يمسك بيدها خلال ساعات الولادة. قالت له بشوق وحنان: «أحبك، أليخاندرو! أحبك بما فيه الكفاية لأنجب نصف دزينة من الأطفال».

- نصف دزينة؟!

قاطعها أليخاندرو، فيما بدا الارتياح على وجهه، عندما أدرك أنها تمازحه. إنه يحب هذه المرأة الجميلة حتى الجنون. قال ليرضيها: «ربما سننجب طفلين بعد».

ضحكت بروني بنعومة، وقالت: «ربما ثلاثة».

وافقها برضى، فهو يعلم أنه غير قادر على معارضة هذه المرأة

التي تعني له أكثر من الحياة نفسها. فهي زوجته، وأم أطفاله... كل أطفاله. إنها المرأة التي أحبها أكثر مما اعتقد أنه قادر على الحب يوماً. المرأة التي سيحبها دوماً بصوت وعاطفة جامحه تتعدى الحياة ذاتها.

www.elromancia.com